








د. محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني

# الطغــراء السعدية

محاضرة ألقيـت

## بكلية العلوم الاجتماعية
## جامعة الكويت

ضمن فعاليات الموسم الثقافي الثاني




## المسجد الكبير - الكويت

فبراير - مارس
2019




**المسجد الكبير يطلق فعاليات الموسم الثقافي الثـانـي لمـركـز الكـويت للفنــون الإسلاميــة**

**17 فبراير 2019**

صرح السيد/ رومي مطر الرومي - مدير إدارة المسجد الكبير، أن مركز الكويت للفنون الإسلامية بالمسجد الكبير وفي إطار سعيه للعمل على تعزيز الهوية الثقافية الفنية الإسلامية لدى المجتمع من خلال أنشطة التوعية والتعليم، ومن أجل تفعيل دور المركز كمؤسسة فنية رائدة محلياً وعالمياً، والمساهمة في تكوين مرجعية ثقافية متخصصة في الفنون الإسلامية

وفي هذا الإطار يطلق مركز الكويت للفنون الإسلامية فعاليات الموسم الثقافي الثاني بداية من الأحد الموافق 10 فبراير 2019 وحتى 22 مارس 2019 يقدم خلال هذه الموسم عددا من الدورات والورش والمحاضرات الندوات التي تختص بمجال الخط العربي والفنون الإسلامية، وتتمثل عناوين الموسم الثقافي الثاني في الاتي:

## الورشات والدورات التدريبية:

- دورة: **"فن الزخرفة الإسلامية"**، د. نجـاتي سنجـق توتـان من تركيـا.
- ورشة: **"فنون الكتاب"**، الخطاط أحمد فارس من تركيا.
- دورة: **"الخـط المحقـق وتقهيـر الـورق وصـناعة الحبـر التقليدي"**، الخطاط هيثم سلمو من تركيا.
- دورة: **"فن الخط الكوفي"**، الخطـاط صـلاح عبد الخـالق من مصـر.
- دورة: **"التذهيب وصناعة طبق أزنك"**، الفنانـة الدكتورة هنـاء حجازي من الأردن.

## المحاضرات العلمية:

- محاضـرة: **"خطــاطون ورســامـون"**، د. هــاشم شيت علـي من العـراق.
- محاضرة: **"الكتابات المختارة في إستانبول"**، د. سليمان برق من تركيا. - محاضرة: **"الخط العربي في التصميم المعمـاري"**، د. صلاح الدين شيرزاد من تركيا.
- محاضـرة: **"الطغـــراء السعـديــة"**، د. محمد عبد الحفيظ من المغرب.

وستختتم فعاليات الموسم الثقافي بندوة حوارية يشارك فيها جميع الضيوف بعنوان (فن الخط وعلاقته بالمصحف الشريف) تناقش عددا من المحاور منها أنواع خطوط المصاحف وعلاقتها بالأبعاد الوظيفية/الجمالية/ الدلالية/الوجدانية/النفسية - مراحل الانتقال الفني والوظيفي من "الخط الموزون" إلى "الخط المنسوب"، ومن "الخط الجاف" إلى "الخط اللين" في نسْخ المصاحف (المدرسة البغدادية) - أوجه الائتلاف والاختلاف بين الخطوط المشرقية والمغربية في نسخ المصاحف. دراسة تاريخية فنية.

**عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة الكويت / 17 فبراير 2019. الرابط: https://2u.pw/ClzUAR8**

## المحاضرات العلمية:

- محاضـرة: **"خطــاطــون ورســامــون"**، د. هاشـم شـيت علي من العراق.

- محاضرة: **"الكتابات المختـارة في إستانبول"**، د. سـليمان برق من تركيا.

- محاضرة: **"الخـط العربي فـي التصميـم المعمـاري"**، د. صـلاح الدين شيرزاد من تركيا.

- محاضـرة: **"الطغـــــراء السعديـــــة"**، د. محمـد عبد الحفيظ من المغرب.










د. محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني

# الطغـراء السعدية

## فصلة مستلة من كتاب الطغراء المغربية

محاضرة ألقيت

**بكلية العلوم الاجتماعية**

**جامعة الكويت**

ضمن فعاليات الموسم الثقافي الثاني




**المسجد الكبير - الكويت**

فبراير - مارس

2019

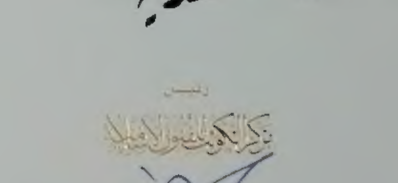
# شكر وتقدير

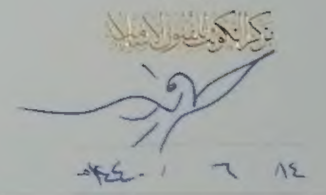
يتقدم مركز الكويت للفنون الإسلامية

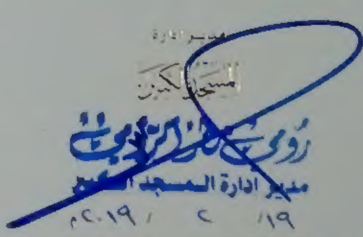
إلى د. محمد عبد الحفيظ

بالشكر والتقدير لمشاركته الفعالة في

تقديم محاضرة الطغراء السعدية



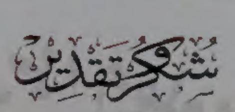



١٤ / ٦ / ١٤٤٠هـ      ١٩ / ٢ / ٢٠١٩م

---



## جامعة الكويت - كلية العلوم الاجتماعية



**إلى: الفاضل الدكتور/ محمد عبدالحفيظ**

تتشرف كلية العلوم الاجتماعية جامعة الكويت أن تتقدم إليكم بخالص الشكر والتقدير على مشاركتكم الفعالة في محاضرة (**الطغراء السعدية**) **وذلك يوم الخميس ٧ مارس ٢٠١٩**، وإننا إذ نثمن لكم هذه المشاركة المتميزة ونرجو لكم التوفيق والسداد في أعمالكم ومشاركتكم الكلية في أنشطة أخرى مستقبلاً إن شاء الله.

**عميد كلية العلوم الاجتماعية**

**أ.د. حمود فهد القشعان**

**1 - الطغراء السعدية. تاريخها، مسمياتها، وعلاقتها بمفهوم السيادة وخصوصية التراث المغربي، انطلاقا من مقارنتها بالطغراء العثمانية**

انطلاقا من دراستنا للعلامات السلطانية في المغرب، يمكن القول أن **"العلامة السعدية"** تُعدّ بحق أبرز مثال **"للطغراء المغربية"**، إذ كانت تتميز بشكلها الخاص، ورسمها المأثور، الذي استُخدم في الدواوين السلطانية منذ أواخر العصر الوسيط وبداية العصر الحديث، حيث لاحظنا أن خطاطي الديوان في **"الدولة السعدية"** أو **(الدولة الزيدانية)**[1]، كانوا يقومون بتحوير الخط الفاسي (المجوهر)[2]، الذي اشتهرت أقلامه بالتعمية والتشفير، وذلك لملاءمته وتكييفه مع المسارات المتاهية والمتناهية للعلامة المذكورة، التي كان يُراد تشفيرها وتعميتها -

---

[1] - عن تسمية الدولة السعدية؛ينظر:

- الإفراني (محمد الصغير)، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 1998م، ص: 35 - 36.

- رسائل سعدية، تحقيق: عبد الله كنون، نشر معهد مولاي الحسن - دار الطباعة المغربية، تطوان، 1954م، صفحات: 66 - 75 - 78 - 109 - 111 - 122 - 198.

- الفشتالي (أبو فارس عبد العزيز)، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق: عبد الكريم كريم، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د. ت، ص: 165.

[2] - يذكر هوداس أن الخط الفاسي كان مستعملا على وجه التحديد في جامعة القرْويين بمدينة فاس، لذلك فليس غريبا أن يأخذ تسمية المدينة التي نشأ فيها وتطور، وقد أدخل هذا الخط إلى الجزائر أهالي وهران ممن كانوا يدرسون بهذه الجامعة، فتأثرت الخطوط في الجزائر - تبعا لذلك - بالخط الفاسي بالقدر نفسه الذي تأثرت فيه بالخطين: القيرواني والأندلسي. ينظر:

- هوداس (أوكتاف)، محاولة في الخط المغربي، ترجمة: عبد المجيد التركي، حوليات الجامعة التونسية، العدد: 3، 1966م، ص: 213.

إلى حد الإلغاز - تبعا للقلم الذي كُتبت به للحيلولة دون تزييفها أوتزويرها[3]، ومردّ ذلك راجع إلى خطورة هذه العلامة السلطانية ودلالتها المتعلقة بسيادة الدولة.

وإثر حديثه عن العلامات السلطانية المستعملة في المغرب، قام أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر (725 - 807هـ/1325 - 1405م)، بتحديد نصوصها من خلال كتابه: **"مستودع العلاَمة ومستبدع العلاَّمة"**، وهو الكتاب الذي ألّفه للمرينيين، وتحديدا لصاحب العلامة المرينية: "يحيى بن الحسين بن أبي دلامة"

---

[3] - عن **"التعميَة"** و **"التشفير"**؛ ينظر:

- ابن طباطبا (أبو الحسن محمد بن أحمد)، رسالة في استخراج المُعمّى، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الهدلق، مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت، المجلد: 32، الجزء: 1، يناير - يونيو، 1988م، صص: 61 - 99.
- الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى)، أدب الكتاب، صححه وعلق على حواشيه: محمد بهجة الأثري، ونظر فيه علامة العراق: السيد محمود شكري الألوسي، المطبعة السلفية، مصر - المكتبة العربية، بغداد: 1922م، ص: 186.
- ابن وهب الكاتب (إسحاق بن إبراهيم بن سليمان)، البرهان في وجوه البيان (نُشر من قبل باسم نقد النثر لقدامة بن جعفر)، تحقيق: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، مطبعة الرسالة: 1969م، ص: 350.
- ابن شيث (عبد الرحيم بن علي القرشي)، معالم الكتابة ومغانم الإصابة، علق على حواشيه: الخوري قسطنطين الباشا المخلصي، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913م، ص: 32. وص: 35.
- العمري (أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي)، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1988م، ص: 117 - 118.
- التازي (عبد الهادي)، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1983م، ص: 5 - 6.
- محمد مراياتي - يحيى مير علم - محمد حسان الطيان، علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ج/1، 1987م، ص: 28.
- الطباع (إياد خالد)، منهج تحقيق المخطوطات ومعه كتاب: شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام لابن وحشية النبطي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: 2003م.
- Joseph Hammer. Ancient Alphabets and Hiroglyphic characters explained, in Arabic language by Abu Beker Bin Wahshih and in English, London 1806.

كاتب علامة السلطان المريني أبي العباس أحمد المستنصر (ت.796هـ/1393م)[4].

والجدير بالذكر، أن ابن الأحمر كان يعتبر العلامة **"شارة"** أو(شعارا)، بدليل قولـه: **"و العلامة تكتب بقلم غليظ القطة، وهي: شارة في الكتب [السلطانية] كالشهادة الشرعية في العقود"**[5].

وعلى غرار ابن الأحمر، تحدث عبد الرحمن بن خلدون (732 - 808هـ/1332 - 1406م) - هو الآخر - عن تلك العلامات السلطانية انطلاقا من توليه لمنصب الكتابة عند كل من الحفصيين في تونس[6]، والمرينيين في المغرب[7]، فأكد لنا أن ما كان يُطلَق عليه: **"علامة"** في المغرب هو عين **"الطغراء"**

[4] - ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل)، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق: محمد التركي التونسي ومحمد بن تاويت التطواني، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي، المطبعة المهدية، تطوان، 1964م، ص: 18 - 19. وأيضا؛ ص: 75 - 76.

[5] - ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 20.

[6] - ابن خلدون (عبد الرحمن)، تاريخ ابن خلدون المسمى: **"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"**، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية: 1988م، ج/7، ص: 532. ينظر أيضا:

- ابن خلدون (عبد الرحمن)، رحلة ابن خلدون، أو مايسمى بـ: **"التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا"**، عارضها بأصولها وعلق على حواشيها: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى: 2004م، ص: 65.

[7] - ابن خلدون، كتاب العبر، ج/7، ص: 534. ينظر أيضا:

- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ص: 67.

في المشرق، ويؤخذ ذلك من قوله: "**..الطغري.. هي: العلامة..**"[8].

والتعبير عن العلامة بالطغراء أوالعكس، هو أمر أكدته حتى بعض المصادر والمعاجم اللغوية في المشرق، ونخص بالذكر على سبيل المثال لا الحصر؛ **"تاج العروس"** للزّبيدي (1145 - 1205هـ/1732 - 1790م) الذي ورد فيه أن: **"طُغْرَى.. كلمة أعجمية استعملتها العرب، ويعنون بها: العلامة"**[9].

وفي سياق آخر يتصل بالمعنى نفسه، أكد ابن خلدون في مقدمته؛ أن **"العلامة السلطانية"** هي: **"التوقيع"**، ويُستنبط ذلك من قوله: "**..فيرسم [السلطان] الأمر للكاتب ليضع علامته، ومن خِطط الكتابة التّوقيع..**"[10].

وقد زاد ابن خلدون على ذلك بذكر استعمالات لمسميات متعددة أهمها: **"الخاتم"** الذي خصص له مبحثا مستقلا؛ ذهب من خلاله إلى أنه كان يقوم مقام **"العلامة"**[11]، كما ذهب أيضا

---

[8] - أكد ابن خلدون أن "**..الطغري... هي: العلامة..**" عند حديثه عن الشاعر الطغرائي الذي قال عنه: **"وكان أبو المؤيد محمد بن أبي إسماعيل الحسين بن علي الأصبهاني يكتب للملك محمود، ويرسم الطغري - وهي العلامة - على مراسيمه"**. - ابن خلدون، العبر، ج/3، ص: 616.

[9] - الزَّبيدي (مرتضى)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت، ج/12، ص: 430.

[10] - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية: 1988م، ص: 306.

[11] - ابن خلدون، المقدمة، ص: 327.

إلى أنه كان يعتبر من ضمن **"شارات الملك والسلطان"**[12]، وهي الشارات السلطانية التي تتنوع وتختلف من دولة إلى أخرى، إذ أن: **"الملوك والدّول يختلفون في اتّخاذ.. الشّارات، فمنهم مُكثر ومنهم مُقلّل بحسب اتّساع الدّولة وعظمها.."**[13].

وهذا يُستنتج منه حسب رأيي؛ أن الطغراء التي تحدث عنها ابن خلدون - والتي قد تتباعد وتختلف أو تتقارب وتتشابه مع العلامة أوالشعار أو الشارة - لا تُعدّ صنفا من الخطوط، وإنما هي: **"رسم"** له شكل معلوم، دُبّج بـ: **"خط"** معلوم؛ أضحى في عصر الدولة العثمانية **"شعارا سلطانيا"**[14]، وُظِّف في تركيبه الحرف العربي توظيفا فريدا؛ وفق شكل محدّد يحمل في مدلوله ما يرمز إلى القوة والسيادة، كاستخدامه في كتابة أسماء السلاطين والدعاء لهم، أو استعماله في العبارات الدينية التي اتخذتها الدول علامات وشعارات ترمز إلى سلطتها السياسية أوالدينية.

وبالرغم مما قلناه، فإننا لا نستطيع أن نخفي ما ذهب إليه بعض الدارسين من كون العلامة أوالطغراء تُعدّ نوعا مستقلا

---

12 - ابن خلدون، المقدمة، صص: 319 - 334.

13 - ابن خلدون، المقدمة، ص: 320.

14 - دوسون (رادجة)، نظم الحكم والإدارة في الدولة العثمانية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، ترجمة: فيصل شيخ الأرض، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1942م، ص: 98.

من الخطوط[15]. وإن كان آخرون يعتبرونها فنا مستقلا يأخذ مكانه بين الكتابة والرسم[16].

وما يسترعي الانتباه، هو أن مصطلح: **"علامة"** العربي الذي كان مستعملا في كل من المغرب والمشرق، ظل حاضرا عند العثمانيين الأتراك - الذين تزامن تأسيس دولتهم مع أواخر الدولة المرينية وبداية الدولة الوطاسية - وذلك للتعبير عن **"الطغراء"** التي استُخدمت عندهم بشكل صريح وواضح مكتمل الهيئة، لا يقبل التأويل ولا يحتاج إلى التعليل.

وقد أكد هذا الأمر؛ السفير المغربي علي بن محمد التمكروتي (941 - 1003هـ/1534 - 1594م)، من خلال سفارته، التي بعثه على رأسها السلطان السعدي: أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م)، إلى السلطان العثماني: مراد الثالث (982 - 1003هـ/1574 - 1595م)، حيث لم يورد في كتابه: **"النفحة المسكية في السفارة التركية"** ما يدل على أن **"الطغراء"** كانت تُعرف -

[15] - ينظر:
- بنبين (أحمد شوقي)، طوبي (مصطفى)، معجم مصطلحات المخطوط العربي: قاموس كوديكولوجي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى: 2003م، ص: 99.

[16] - حنش (إدهام محمد)، الخط العربي في الوثائق العثمانية، دار المناهج، عمان، الأردن، الطبعة الأولى: 1998م، ص: 201.

عند العثمانيين - بهذا الإسم لذلك العهد، بل أشار إلى أنها كانت تُعرف عندهم تارة باسم: **"علامة السلطان"**[17]. وتارة أخرى تُعرف باسم: **"النِّشان"**[18].

ويُؤخذ ذلك من قوله: كان **"رئيس الكتّاب..[عند العثمانيين هو المكلف بـ] كتْب العلامة .. فما قَبِله السلطان، أمره أن يضع فيه علامة السلطان، يقولون لها بلسانهم: النِّشان. ويقولون للكاتب الذي يضعها: النِّشانجي"**[19]. وأضاف التمكروتي أن **"الجيم عندهم [في كلمة: نِشانجي] بمنزلة ياء النسب عند العرب"**[20].

ونحن نتفق معه في هذا التأويل، بل ونؤكد صحة المقارنة التي قام بها، بدليل أن العرب كانوا يطلقون على الموظف الموكل بـ: "النياشين" في الدواوين السلطانية؛ تسمية: **"النِّشاني"** كما يشير إلى ذلك محمد بن فضل الله المحبي (1061 - 1111هـ/1651 - 1699م) في: **"خلاصة الأثر"**، حيث يقول: **"والنِّشاني نسبة إلى النِّشان، وهو: الطرة التي**

---

[17] - التمكروتي (علي بن محمد)، النفحة المسكية في السفارة التركية، تحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002م، ص: 100.
[18] - التمكروتي، النفحة المسكية، ص: 100.
[19] - التمكروتي، النفحة المسكية، ص: 100.
[20] - التمكروتي، النفحة المسكية، ص: 100.

**ترسم في أعلى الأوامر والبراءات السلطانية، ويقال لها: الطغرى أيضا.."**[21].

وتشير بعض المصادر العثمانية إلى أن مصطلح: **"النشان"**؛ هو مصطلح فارسي انتقل إلى القاموس التركي المتعلق بالتنظيمات الإدارية للإمبراطورية العثمانية[22]، ولعل هذا الرأي، هو ما دفع بعض الباحثين للتأكيد على أن لفظ: **"طغراء"** التركي مرادف - من الناحية اللغوية - للفظ: **"نِشان أو نِيشان أو نِشانة"** الفارسي، ومعناه: **"علامة"**، وهو مرادف - أيضا - للفظ: **"توقيع"** العربي[23].

ومن خلال اطلاعنا على بعض الفرمانات العثمانية، تأكد لدينا أن **"الطغراء"** كان يُشار إليها باسم: **"علامت شريف"** بالتاء المبسوطة، أي: **"علامة شريفة"** وهي التسمية التي

---

[21] - المحبي (محمد أمين بن فضل الله)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، د.ت، ج/3، ص: 227.

[22] - الدولة العثمانية. تاريخ وحضارة، مجموعة من الأساتذة الجامعيين تحت إشراف: أكمل الدين إحسان أوغلي، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، منظمة المؤتمر الإسلامي. مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول (إرسيكا)، الطبعة الثانية: 2010م، ج/1، ص: 550.

[23] - دائرة المعارف الإسلامية، انتشارات جهان ، تهران، الطبعة الأولى: 1933م، ج/15، ص: 203. نقلا عن:

- صديق (محمد يوسف)، الطغرا واستخدامها في الكتابات العربية في البنغال، مجلة صوت الأمة، مجلد:1، عدد: 3، 1988م، ص: 52. يُنظر أيضا:

- مجيب (حسين المصري)، معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى: 2004م، ص: 85.

- إدهام محمد حنش، الخط العربي في الوثائق العثمانية، ص: 201 - 202.

أوردها القلقشندي (756 - 821هـ/1355 - 1418م) في كتابه: **"صبح الأعشى"**[24]، وبسط التاء في تسمية الأعلام ونعوت الصفات، كان معروفا لدى الأتراك الذين لايقفون على التاء المربوطة بالهاء بسبب عجمتهم، بل يحققونها كما في الكلمات التالية: ("حكمة = حكمت". "عبرة = عبرت". "جودة = جودت". "رأفة = رأفت"...)، وقس على هذا.

بالإضافة إلى اسم: **"علامت شريف"**، وردت أيضا تسمية الطغراء في الفرمانات العثمانية بنعوت مختلفة مثل: **"طغرائي صميم مكان خاقاني"**، **"توقيع رفيع همايوني"** أو**"توقيع همايون"**[25]، **"نِشان شريف عالي الشان.. سلطاني.."** أو**"نِشان همايون"**[26].

ومن الأسماء الأخرى التي نُعتت بها العلامة السلطانية أوالطغراء، تسمية: **"طُرّة"**، وفي هذا الشأن، يكاد المؤرخون العرب يجمعون على أن **"الطغراء"** هي: **"الطرة"**، ومردُّ ذلك - حسب رأيي - مرتبط بكون الطغراء كانت ترسم في طرر

---

[24] - القلقشندي (أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف علي طويل، نشر دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: 1987م، ج/1، ص: 132. يُنظر أيضا: ج/4، ص: 18.

[25] - اوزتونا (يلماز)، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988م، ج/2، ص: 341.

[26] - اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج/2، ص: 343.

الوثائق باعتبارها توقيعا أوشعارا سلطانيا تُوشّح به الوثائق الرسمية، ومن ضمن المؤرخين الذين أطلقوا عليها تسمية: **"الطرة"** على سبيل المثال لا الحصر: ياقوت الحموي (574 - 626هـ/1178 - 1229م)[27]، ابن خلكان (608 - 681هـ/1211 - 1282م)[28]، الصفدي (696 - 764هـ/1296 - 1363م)[29]، المقريزي (764 - 845هـ/1364 - 1442م)[30]، المحبي (1061 -

---

[27] - يقول ياقوت الحموي: **"..الطغرائي نسبة إلى من يكتب الطغراء وهي الطرّة التي تكتب في أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الجلي، تتضمن اسم الملك وألقابه، وهي كلمة أعجمية محرفة من الطرّة"**.

- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي)، معجم الأدباء؛ المسمّى: **"إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"**، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1993م، ج/3، ص: 1106 - 1107.

[28] - يقول ابن خلكان: **"والطغرائي - بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة، وفتح الراء وبعدها ألف مقصورة - هذه النسبة إلى من يكتب الطغري، وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ"**.

- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، طبعة: 1900م، ج/2، ص: 190.

[29] - يقول الصفدي: **"الطغرائي بضَم الطَّاء الْمُهْملَة وَسُكُونِ الْغَيْن، وَبعد الرَّاء ألف ممدودة وياء النّسَب، هذِه نسْبَة إِلَى من يكْتب الطغراء وَهِي الطرة الَّتِي فِي أَعلَى المناشير والكُتب فوق الْبَسْمَلَة"**.

- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة: 2000م، ج/12، ص: 268.

[30] - يقول المقريزي: **"والطغرا هي طرة المكتوب.. وهي لفظة فارسية"**.

- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج/3، ص: 394.

1111هـ/1651 - 1699م)[31]، الزّبيدي (1145 - 1205هـ/1732 - 1790م)، وغيرهم[32].

وحتى نؤصل لكلمة: **"طغراء"** تأصيلا تاريخيا ولغويا، نشير إلى أن الروايات المصدرية اختلفت في أصلها بين نسبتها إلى العرب أو الفرس أوالتّرك، حيث وردت بتسميات مختلفة في المصادر التاريخية والمعاجم اللغوية، وهي من جذر واحد يتمثل في الحروف: **"طـ - غـ - ـر"**، التي تفرعت عنها عدة مسميات من قبيل: "طغرة"، "طغراة"، "طغري"، "طغرى"، "طغرا"، "طغراء". وذلك بالرغم من كون تلك المصادر قد نقل بعضها عن بعض، حيث يُحتمل أن يكون المؤلفون هم من تصرفوا في الكلمة بعد النقل، كما يُحتمل أيضا أن يكون المحققون هم من تصرفوا فيها بداعي التحقيق من خلال الاعتماد على المقابلة (أي: مقابلة النُّسخ بعضها ببعض وإثبات التسمية الأصح منطوقا ومفهوما).

---

[31] - يقول المحبي: **"والنَّشاني نسبة إلى النِّشان، وهو: الطرة التي ترسم في أعلى الأوامر والبراءات السلطانية، ويقال لها: الطغري أيضا.."**.
- المحبي، خلاصة الأثر، ج/3، ص: 227.

[32] - يقول الزّبيدي: **"طُغَرى، بالضم مقصورا: كلمة أعجمية استعملتها العرب، ويعنون بها العلامة التي تكتب بالقلم الغليظ في طرة الأوامر السلطانية، تقوم مقام السلطان"**.
- الزّبيدي، تاج العروس، ج/12، ص: 430.

ومن خلال تتبعنا للروايات المصدرية حول الجذور التاريخية واللغوية للطغراء، وجدنا معظم المصادر المشرقية وبعض المصادر المغربية التي تعرضت لذكر هذا التوقيع السلطاني، إنما تعرضت لذكرها في سياق التعريف بالوزير - الشاعر؛ "مؤيد الدين الحسين بن علي الطغرائي" (455 - 513هـ/1063 - 1120م)[33]، وهو صاحب قصيدة **"لامية العجم"**، التي عارض بها قصيدة **"لامية العرب"**، للشاعر "الشَّنْفَرى" (ت.70 ق.هـ/525م) أحد أبرز شعراء الصعلكة في العصر الجاهلي[34]. ويعد الحسين بن علي هذا؛ أشهر من عُرف بلقب: **"طغرائي"**، وهو اللقب الذي يحيلنا مباشرة على وظيفته في الدواوين السلطانية السلجوقية خلال أواخر العصر العباسي. وأول مصدر أورد ذكره، وعرّف بخبره، هو كتاب: **"تاريخ دولة آل سلجوق"** المسمى: **"نصرة الفترة وعصرة القطرة في أخبار الدولة السلجوقية"**، للعماد الأصبهاني

---

[33] - عن ترجمة الطغرائي؛ ينظر ذلك بتفصيل عند:
- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج/3، صص: 1106 - 1118.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج/2، صص: 185 - 190.
- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج/12، صص: 268 - 272.
- ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 26.

[34] - عن ترجمة الشنفرى؛ ينظر ذلك بتفصيل عند:
- الأصبهاني (أبو الفرج علي بن الحسين المرواني الأموي)، الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى: 1994م، ج/21، صص: 118 - 128.

(519 - 597هـ/1125 - 1201م)[35]. وعنه أخذت ذلك سائر المصادر من كتب التاريخ والتراجم والمعاجم، التي استخرجنا منها بعض الشواهد والقرائن التي تؤصل لمفهوم الطغراء، ودلالاتها التاريخية والفنية والوظيفية.

وقد اشتهر استعمال العلامة أو الطغراء في المغرب بشكل كبير في الوثائق خلال عهد السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م) للتدليل على سيادته، حيث كان لها من الضخامة ما يجعلها تشغل الامتداد العرضي للوثيقة من اليمين إلى اليسار، وهي تختلف عن الطغراء العثمانية من حيث الشكل والنص، رغم أن وظيفتهما واحدة.

ولا يمكننا الحديث عن الطغراء السعدية - المغربية التي جعلناها إشكالية لهذا البحث، إلا إذا ربطناها بخصوصية **"التراث المغربي"** الذي يحيلنا على **"السيادة المغربية"** في كافة تجلياتها التاريخية والسياسية والاجتماعية، ومعلوم أن **"السيادة"** كمفهوم؛ ترجع - من حيث ظهورها - إلى بداية

---

[35] - الأصبهاني (عماد الدين أبو عبد الله محمد)، تاريخ دولة آل سلجوق المسمى: **"نصرة الفترة وعصرة القطرة في أخبار الدولة السلجوقية"**، قرأه وقدم له: يحيى مراد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: 2004م، صفحات: 255 - 259 - 270 - 297.

العصر الحديث، وتحديدا إلى القرن الخامس عشر تقريبا، وكلمة: **"السيادة" (souveraineté)** مشتقة من الأصل اللاتيني: **(superamus)**، وهي في الأصل مفهوم فرنسي أطلق على جوهر السلطة السياسية في الدولة منذ القرن الخامس عشر، وذلك من خلال تعريفها و تحديد خصائصها و بيان مصدرها وصاحبها، وأصبحت هذه الأفكار تكوّن ما يعرف بـ: **"نظرية السيادة"**[36]. ويعتبر المفكر السياسي الفرنسي **"جان بودان"** (936 - 1004هـ/1530- 1596م) أول من نادى بمبدأ السيادة مستهدفا بذلك إثبات حق الدولة في البقاء[37]. وذهب أغلب المفكرين المعاصرين إلى القول بأن نظرية السيادة هي نظرية معروفة في الفقه الإسلامي، وأنها مشروحة في كتابات بعض قدماء فقهاء السياسة الإسلامية، و رغم اتفاقهم على ذلك، إلا أنهم اختلفوا عند الحديث عن مصدر هذه السيادة أوصاحبها[38]، وخلافا للفكر الغربي، فقد ظهرت نظرية السيادة في الفكر الإسلامي المعاصر؛ حين صاغ أسسها لأول مرة - في

---

[36] - فتحي (عبد الكريم)، الدولة و السيادة في الفقه الاسلامي. دراسة مقارنة، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1984م، ص: 13 - 14.

[37] - عن "مفهوم السيادة" في الفكر الغربي؛ ينظر:

- شفالييه (جان جاك)، تاريخ الفكر السياسي من المدينة الدولة إلى الدولة القومية، ترجمة: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1993م، الكتاب الثاني، صص: 283 - 294.

[38] - عبد الكريم فتحي، الدولة و السيادة في الفقه الإسلامي. دراسة مقارنة، ص: 14 - 15.

تاريخ الفكر الإسلامي - المفكر السلفي: **"أبو الأعلى المودودي"** (1321 - 1399هـ/1903 - 1979م) في كتابه المعروف بـ: **"تدوين الدستور الإسلامي"** تحت اسم: **"نظرية الحاكمية"**[39]. حيث وضع المودودي قواعدها على شرح معين لعقيدة التوحيد. إلا أن نظرية الحاكمية أو السيادة في الفكر الإسلامي بعد تأسيسها من قِبل المفكر المودودي، لم تبق على حالتها الأصلية، حيث تم نقدها من طرف بعض المفكرين الإسلاميين، الذين قاموا بصياغة نظرية السيادة في الإسلام خلافا للأسس التي وضعها المفكر الإسلامي المذكور[40].

من هنا يمكن القول أن **"التراث المغربي"** وخصوصيته، يرتبطان ببداية العصر الحديث الذي طبعته **"الدولة السعدية"** بحضورها السياسي الوازن، حيث استطاعت هذه الدولة أن تحافظ على استقلال المغرب عن التبعية للدولة العثمانية، لتكون بذلك؛ الناقل الحضاري الوحيد لتراث الغرب الإسلامي، والوارث الشرعي لعوائده وفنونه، خاصة بعد سقوط الأندلس سنة: 897هـ/1492م، ودخول كافة دول (شمال إفريقيا) - عدا المغرب - تحت سيادة العثمانيين منذ سنة: 922هـ/1516م،

---

[39] - المودودي (أبو الأعلى)، تدوين الدستور الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1981م، صص: 18 - 24.

[40] - عبد الكريم فتحي، الدولة و السيادة في الفقه الإسلامي. دراسة مقارنة، ص: 15 - 16.

حيث تفرّد المغرب بمهمة تطوير تراث الغرب الإسلامي، وذلك بالنظر إلى الاستقرار السياسي الذي كان يعرفه. وهو الاستقرار الذي كان متذبذبا في كل من الجزائر وتونس بسبب القلاقل السياسية، التي طالت الأندلس أيضا بعد تفرق حكامها طرائق قددا، وتكالب العدو المسيحي عليهم تكالب الأكلة إلى قصعتها.

فلا مراء؛ ان عدم الاستقرار يعقبه ضمنيا عدم الاستمرار (السياسي والبشري والاقتصادي والثقافي)، ولأن هذا الاستقرار كان حاصلا في المغرب منذ ما قبل السعديين، كان من البديهي أن يكون المغرب المدرسة التاريخية المحورية في تلك المرحلة، التي أخذت على عاتقها مسؤولية تطوير هذا التراث وبلورته، من خلال اختزال التجارب الفنية الإقليمية السابقة لدول الغرب الإسلامي بما في ذلك الأندلس، وبالتالي الإعلان عن ولادة ما يسمى في وقتنا الحاضر بـ: **"التراث المغربي"** بكافة تجلياته الحضارية، وحينما نستعمل مُسمّى: "التراث المغربي" فإننا نحدده بالمفهوم الإقليمي الضيق، الذي يحيلنا على المغرب الأقصى وليس كما يحاول البعض تسميته في وقتنا الحاضر بـ: "التراث المغاربي".

ونحن إذ نردّ هذا الادعاء، نشير إلى أن التراث المغربي بدأ يعرف خصوصيته الإقليمية بشكل بارز منذ العصر السعدي، الذي سيشهد فيه طفرة نوعية على جميع المستويات، وخاصة في عهد السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م) الذي يعد أقوى سلطان سعدي على الإطلاق، حيث استطاع بحنكته تأسيس دولة مركزية قوية طبعت بظهور نظام حكم جديد في المغرب تعود جذوره الأولى إلى العصر الموحدي، ألا وهو: **"النظام المخزني"**[41]، الذي أصبح نظاما ذا **"خصوصية مغربية"**. وقد ساهم هذا النظام في

---

[41] - عن: **"النظام المخزني"**؛ ينظر:

- البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص: 38. وللمؤلف نفسه: - المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص: 57.

- جادور (محمد)، مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، سلسلة أبحاث، منشورات عكاظ، 2011م، صص: 49 - 71.

- ملين (محمد نبيل)، السلطان الشريف. الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب، ترجمة: عبد الحق الزموري - عادل بن عبد الله، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، السويسي، الرباط، 2013م، صص: 190 - 193.

- العروي (عبد الله)، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية (1830 - 1912م)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، الطبعة الأولى: 2016م، صص: 108 - 121.

- Harakat Brahim. Le makhzen sa'adien. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°15-16, 1973. Mélanges Le Tourneau. II. pp. 43-60

- Mohamed Kably, «À propos du Makhzen des origines: cheminement fondateur et contour cérémonial», Maghreb Review, vol. 30, nº 1, 2005, pp. 2-23

تطور الدواوين السلطانية التي ستعرف قفزة نوعية كبيرة خلال العصر السعدي، حيث ستتميز الرسائل السلطانية السعدية عن نظيرتها العثمانية بكونها كانت تكتب بالخط المغربي، الذي تفرع منه خط ديواني مغربي سيُعرف فيما بعد بالخط الفاسي أو(المجوهر)، وهو خط مخزني ارتبط منذ العصر السعدي - دون غيره من الخطوط - بـ: **"المراسلات المخزنية"**[42]، حيث تأكدت نسبته إلى المغرب الأقصى، خاصة بعد سقوط الأندلس في يد الإسبان سنة: 898هـ/1492م. وتبعية دول شمال إفريقيا - عدا المغرب - منذ سنة: 922هـ/1516م للإمبراطورية العثمانية، التي ستفرض على سائر الإيالات التابعة لها استعمال خطوطها الديوانية (الهمايونية) في تدوين الدواوين وتحرير المراسلات الرسمية، فضلا عن استعمال الطغراء العثمانية في إنفاذها، ليكون بذلك مسمى: (الديوان الهمايوني) العثماني في تركيا العثمانية، مقابلا لمسمى: (الديوان المخزني) في المغرب السعدي، من حيث الوظائف السلطانية.

---

[42] - عن المراسلات المخزنية؛ ينظر:

- رسائل مخزنية على عهد السلطان مولاي الحسن و ابنه السلطان مولاي عبد العزيز، تحقيق: عبد الهادي التازي، القسم الأول، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط، 1970م.

من هنا يمكن القول أن هذا الإجراء، ساهم بشكل صريح في تهميش الخط المغربي في دول شمال إفريقيا. ففي تونس مثلا، تم التخلي عن الخط القيرواني كما يشير إلى ذلك هوداس بقوله: **"وإن ما كان من ثقل التأثير التركي الطويل المدى، قد أكسب شؤون تونس العاصمة دورا أكثر شرقية، وحلت الكتابة النسخية محل الخط القيرواني في قسم كبير من أشكاله"**[43].

أما في الجزائر - فيشير الباحث نفسه - إلى أن الخطوط المستعملة فيها كانت تتأرجح بين التأثير الفني للخط الفاسي والخط القيرواني تارة، وبين تأثير الخط الأندلسي تارة أخرى[44]، بل إن مدن الغرب الجزائري، وتحديدا مدينة وهران؛ كان أهلها يذهبون **"إلى فاس للدراسة، ويرجعون منها بنوع الكتابة المتخذ في جامعة هذه المدينة [أي جامعة القرويين]"**[45]. ونوع الخط الذي كان مستعملا في جامعة القرويين بمدينة فاس وعموم بلاد **"المغرب الأقصى .. [هو] الخط الفاسي.. [الذي] فقدَ، فقط، قليلا من أشكاله المتحررة، وكسب أكثر بساطة لمّا اقتبس من الأندلسي رتابة تناسق الحروف"**[46].

---

[43] - هوداس، محاولة في الخط المغربي، ص: 213.
[44] - هوداس، محاولة في الخط المغربي، ص: 213.
[45] - هوداس، محاولة في الخط المغربي، ص: 213.
[46] - هوداس، محاولة في الخط المغربي، ص: 214.

ولا شك أن هذه الإشارة التي أوردها هوداس في بحثه حول الخط المغربي، يُستفاد منها أن الخط الذي كان مستعملا في جامعة القرويين، كان يسمى بالخط الفاسي نسبة إلى مدينة فاس التي توجد بها الجامعة المذكورة، كما يستفاد منها أيضا أن نوع الخط المستعمل كان خطا علميا - تعليميا لارتباطه بمؤسسة تعليمية، تعتبرها الموسوعات الدولية أقدم جامعة في العالم، وهو الخط الذي جرت العادة باستعماله في نسخ الكتب العلمية عند الطلبة المقيمين بالمغرب، والطلبة الآفاقيين الذين كان يشدون الرحال من كل حدب وصوب لطلب العلم بجامعة القرويين، مما سمح - دون أدنى شك - بانتشار هذا الخط في عموم بلدان الغرب الإسلامي، حتى صار خطا متميزا عن غيره بصور حروفه التي كان يغلب عليها التليين والاستدارة، بدليل ما ذهب إليه عبد الفتاح عبادة، وهو من أقدم الباحثين المشارقة الذين ألفوا في تاريخ الخطوط العربية، حيث أكد أن **"الخط الفاسي.. يمتاز صريحا عن غيره باستداراته"**[47].

---

[47] - عبادة (عبد الفتاح)، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي، المطبعة الهندية بمصر، 1915م، ص: 79.

و**"الخط الفاسي"** حسب تسميته التاريخية، هو **"الخط المجوهر"** حسب تسميته الفنية، أو **"الخط الوراقي"**[48]، حسب استعمالاته الوظيفية، **أو"الخط الديواني"**[49]، حسب استعمالاته الإدارية، غالبا ما كان يُستخدم - دون غيره من الخطوط - في تدوين الكتب العلمية وتحرير الوثائق والمراسلات السلطانية، ولم يُستعمل الخط المبسوط أوخط الثلث المغربي إلا في كتابة بعض العناوين، والإستشهادات، والإشهادات، والملاحظ أن هذا النوع من الخط أضحى صنفا قائما بذاته ضمن مجموع الخطوط المغربية منذ أواخر العصر الموحدي، وذلك بعد انبثاقه مباشرة من الخط المبسوط، وقد كان هذا الخط أهم صنف يعبر عن المغرب؛ وتحديدا مدينة فاس مهد جامعة القرويين التي استُعمل فيها خطا دراسيا تعليميا، يستخدمه الطلبة في تقييداتهم

[48] - عن **"الخط الوراقي"** القديم؛ ينظر:
- ابن النديم (محمد بن إسحاق البغدادي)، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1997م، ص: 19.

[49] - يشير حبيب فضائلي إلى أن الخط الديواني كان يسمى بالخط الهمايوني والخط المقدس، ويُعزى سبب تسميته بالخط المقدس إلى أنه كان خاصا بالكتابات السلطانية، والسلطان [حسب التعريف العثماني] ظل الله في الأرض، وعلى هذا فإنهم قسموا الخط الديواني إلى قسمين: ديواني خفي وديواني جلي، والديواني الخفي يُستخدم عادة مهملا من التشكيل وعاطلا عن التزيين، ونقطة هذا النوع من الديواني والرقعة واحدة، واثنتان بصورة مستطيلة، وثلاث نقط شبيهة بالعدد ثمانية... أما الديواني الجلي فيجيء مشكولا تماما، مع نقط مضلعة وتزيينات بنقط دقيقة، بحيث إنهم يملؤون الخط والشكل والنقطة محل الكتابة في الطول والعرض، ولا يمكن أن يظهر جمال هذا النوع الديواني بغير هذا الترتيب، وتتطلب كتابته وقتا طويلا. ينظر:
- فضائلي (حبيب الله)، أطلس الخط والخطوط، ترجمة: محمد التونجي، مكتبة دار طلاس، دمشق، الطبعة الثانية: 2002م، ص: 394.

ومدوناتهم العلمية[50]، حتى إن عبد الكريم سكيرج (1318 - 1403هـ/1900 - 1983م - الذي نعته خلال العصر العلوي بـالمجوهر - يقول عنه: **"وهو ما تحرّر به الرسائل الخصوصية والعمومية، وتُكتب به الظهائر الملوكية، وهو أكثر خطوطنا استعمالا، وبه طبعت الكتب بالمطبعة المحمدية أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، وانتشرت وعمّ النفع بها"**[51].

ولا شك أن عبد الكريم السكيرج كان على دراية بالخط المجوهر، وذلك بحكم تعلم أصوله من أبيه القاضي أحمد بن العياشي سكيرج (1295 - 1363هـ/1877 - 1944م)، وذلك بالنظر إلى أن هذا النوع من الخط كان أيضا هو الخط الرسمي المستعمل عند القضاة والعدول في تحرير العقود الشرعية، وهو الخط الذي كان يُعرف بالخط الفاسي، والذي استعملت حروفه المطموسة والمدغمة في تقييد التركات

---

[50] - يذكر هوداس أن الخط الفاسي كان مستعملا على وجه التحديد في جامعة القرْويين بمدينة فاس، لذلك فليس غريبا أن يأخذ تسمية المدينة التي نشأ فيها وتطور، وقد أدخل هذا الخط إلى الجزائر أهالي وهران ممن كانوا يدرسون بهذه الجامعة، فتأثرت الخطوط في الجزائر - تبعا لذلك - بالخط الفاسي بالقدر نفسه الذي تأثرت فيه بالخطين: القيرواني والأندلسي. ينظر:
- هوداس، محاولة في الخط المغربي، ص: 213.

[51] - سكيرج (عبد الكريم)، الخط العربي المغربي، مجلة الثقافة المغربية، العدد الثاني، شتنبر 1941م، صص: 67 - 72. نقلا عن:
- المنوني (محمد)، تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات جامعة محمد الخامس، رقم: 2، كلية الآداب - الرباط،1991م، ملحق/1، ص: 322.

والفرائض في تقسيم الإرث وفق طريقة مشفرة لا يعرفها أحد سواهم[52].

من خلال ما سبق، يمكن القول أن ما قام به أحمد المنصور الذهبي - يبين الجهود التي بذلها السعديون في الحفاظ على خصوصية التراث المغربي و إقليميته وتفرّده وتميّزه عن التراث العثماني الذي فُرض على سائر الإيالات العثمانية، ولعلّ السعديين فعلوا ذلك؛ من منطلق استقلالهم السياسي أولا، وثانيا من منطلق تكوينهم لدولة قوية - ذات سيادة - لها خصوصياتها التاريخية، وعوائدها الحضارية التي تميزت في كافة المجالات الأخرى التي ترتبط بمفهوم التراث وماهيته.

ولأن العثمانيين كانوا ينعتون المغرب السعدي بـ: **"دولة فاس"**؛ فقد تم وسْم التراث المغربي خلال هذا العصر بتسمية التراث الفاسي، وذلك لتمييزه عن التراث العثماني. وإذا كان ذكر مدينـة: **"فاس"** في المصادر والوثائق المغربية، يرتبط

---

[52] - ينظر:
- سكيرج (أحمد بن العياشي)، إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، المجلد: 53، الجزء الثاني، نوفمبر 2009م.، ص: 60.
- الفاسي (محمد)، حساب القلم الفاسي، مجلة مجمع اللغة العربية، عدد: 1988م، ج/62، ص: 254.

بالدورين الديني والسياسي لهذه المدينة خلال العصر الوسيط[53].
فإن تسمية: **"فاس"** أو**"فاسي"** في المصادر والوثائق العثمانية، كانت ترتبط منذ بداية العصر الحديث بالصراع العثماني - السعدي الذي أفضى إلى ظهور **"الخصوصية المغربية"**[54] في كافة المجالات، مقابل عملية **"التتريك"** أو بالأحرى **"العثمنة"** التي خضعت لها سائر الإيالات الشمال - إفريقية إلى حدود الجزائر.

وفي هذا السياق، نشير إلى أن المصادر والمراجع العثمانية كانت تطلق على **"المغرب"** خلال الفترة المذكورة تسمية: **"فاس"**، وهذا معناه أن كل شيء مغربي؛ هو من منظور العثمانيين: **"فاسي"** بما في ذلك العادات والتقاليد التي ستتأكد نسبتها منذ مستهل العصر الحديث إلى المغرب الأقصى أو**"مملكة فاس"** كما كان يسميها الأتراك ولازالوا إلى اليوم. وذلك قياسا على كل ما يتصل بالتراث المغربي - الفاسي وتجلياته

---

[53] - يرجع تأسيس **"الدولة المغربية"** إلى عهد إدريس (الأول) بن عبد الله الحسني (172 - 177هـ/788 - 793م) الذي استطاع الإفلات من موقعة فخ التي حدثت قرب مكة سنة: 169هـ/785م، حيث فرّ بجلده نحو المغرب الأقصى ليؤسس فيه أول دولة مستقلة عن العباسيين سنة: 172هـ/788م.
- الرازي (أحمد بن سهل)، أخبار فخ وخبر يحيي بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله، دراسة وتحقيق: د. ماهر جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1995م، صص: 321 - 328.

[54] - عن **"خصوصية الدولة في المغرب"**؛ يُنظر:
- شقير (محمد)، تطور الدولة في المغرب. إشكالية التكون والتمركز والهيمنة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 2006م، صص: 54 - 61.

الحضارية التي تشمل كافة مناحي الحياة. وخاصة ما يتعلق منها بـ: **"الأحكام السلطانية" أو "الآداب السلطانية"**[55]، التي تريد من خلالها كل دولة التفرد بمظاهر حضارية تميزها عن الدول الأخرى، والتي تشمل كل مظاهر الحياة بعاداتها وعوائدها وتقاليدها التي سرعان ما تصير - عبر الزمن - تراثا متواتِرا ومتوارَثا كابرا عن كابر، بحكم التداول والتناول، فضلا عن التداخل والتراكم، ثم السيرورة فالتطور.

ويُعزى سبب إطلاق العثمانيين على المغرب تسمية: فاس؛ إلى كون هذه المدينة ظلت عالقة بأذهانهم بعدما دخلوها مرتين اثنتين دون أن يستطيعوا السيطرة على بلاد المغرب. كما يُعزى

---

[55] - ترتبط **"الأحكام السلطانية"** أو **"الاداب السلطانية"** بظهور الفقه السياسي الإسلامي الذي ارتبط بالبنية المؤساساتية للدولة الاسلامية ووظائفها التي كانت تخضع لمنطق التراتبية وفق ما كانت تمليه بعض المحددات التي يتداخل فيها ما هو ديني بما هو سياسي، ومن أبرز الكتب التي اهتمت بهذا التخصص كُتب **"الأحكام السلطانية"** لكل من القاضيين العباسيين: أبو الحسن علي الماوردي (364 - 450هـ/974 - 1058م)، وأبو يعلى ابن الفراء (380 - 458هـ/990 - 1066م)، ومن بعدهما ابن الطقطقي (660 - 709هـ/1262 - 1309م)، الذي ألف كتابه: **"الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية"**، وقد تحدثت هذه المصنفات عن نُظم الحكم في الإسلام وما يتعلق بها من آداب سلطانية تهم الإمامة والوزارة والإمارة والولايات وغيرها.. يُنظر:

- الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد)، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، د.ت.
- ابن الفراء (أبو يعلى محمد بن الحسين)، الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: 2000م.
- ابن الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت، الطبعة الأولى: 1997م. عن مفهوم السلطان؛ يُنظر:
- العلام (عز الدين)، الآداب السلطانية. دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، عالم المعرفة، عدد: 324، فبراير 2006م، صص: 121 - 152.

أيضا إلى كون مدينة فاس تعد رمزا حضاريا للدولة المغربية[56]، وذلك منذ تأسيسها سنة: 192هـ/808م من طرف الأدارسة (الحسنيين) المستقلين بالمغرب عن التبعية للخلافة المشرقية (العباسية)؛ حيث كان تأسيسها إعلانا عن تأسيس **"الدولة المغربية"** التي ستستمر طيلة 12 قرنا إلى يومنا هذا دون انقطاع[57].

وقد عبّر عن هذا المعطى؛ خير الدين بربروس (875 - 953هـ/1470 - 1546م) من خلال مذكراته التي أملاها على رفيقه المرادي بأمر من السلطان سليمان القانوني (926 - 974هـ/1520 - 1566م)[58]، والتي يمكن اعتبارها مصدرا

---

[56] - للتوسع في ذلك؛ يرجى مراجعة رسالتنا لنيل شهادة الماجستير في شعبة التاريخ، وهي تحت عنوان:

- خبطة (محمد عبد الحفيظ الحسني)، مدينة فاس وعلاقتها بقيام وسقوط الدول المغربية خلال العصر الوسيط، دبلوم الدراسات العليا المعمقة في الآداب، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 2002م.

[57] - إن وجود الدولة في المغرب واتصالها غير المنقطع عبر التاريخ، هو ما تفطن له الماريشال ليوطي أول مقيم عام بالمغرب - بعد فرض الحماية الفرنسية - حيث أكد من خلال تقريره الشهير سنة: 1920م، أن الفرنسيين حينما دخلوا **"إلى المغرب لم يجدوا الفراغ، بل وجدوا دولة ذات سيادة ومؤسسات وتقاليد"**. يُنظر:

- زنيبر (محمد)، المغرب في العصر الوسيط. الدولة - المدينة - الإقتصاد، تنسيق: محمد المغراوي، سلسلة بحوث ودراسات رقم: 24، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، الطبعة الأولى: 1999م، ص: 12.

ويؤكد الباحث المغربي عبد الله ساعف أن **"السمة الأكثر بروزا في مسار الدولة المغربية، هي استمراريتها، وثقل المدى الزمني الطويل، الذي تميزت به، كدولة قديمة ورثت موارد دائمة من الماضي"**. يُنظر:

- محمد شقير، تطور الدولة في المغرب، ص: 95.

[58] - مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة: د.محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى: 2010م، ص: 20.

عثمانيا يؤرخ لمرحلة توسع الدولة العثمانية خلال القرن 16م، حيث شهد بوجود دولة عريقة في المغرب سماها تارة بـ: **"مملكة فاس"**[59]، وتارة أخرى بـ: **"مملكة المغرب"**[60]، وهي المملكة التي كان يحكمها - على حد تعبيره - **"سلطان ينتمي إلى أسرة ملكية عريقة"**[61].

وقد علّق بربروس على المغرب - بعد فتحه لبلدان شمال إفريقيا في سنة: 922هـ/1516م - قائلا: **"ولم يكن في شمال إفريقيا دولة أخرى ذات أهمية غير مملكة المغرب، أما تونس وتلمسان اللتان كان يحكمهما الحفصيون وبنو عبد الوادي فلم يعد لهما أهمية على الإطلاق"**[62]، ولا شك أن هذه الشهادة شهادة قوية لا تقبل التأويل أوالتعليل، لأنها من مصدر عثماني مؤلفه أحد قادة الأسطول العثماني، الذي يرجع له الفضل صحبة أخيه عروج في ضم بلدان شمال إفريقيا - عدا المغرب - إلى الإمبراطورية العثمانية في عهدي: سليم الأول (918 - 926هـ/1512 - 1520م)، وابنه سليمان القانوني (926 - 974هـ/1520 - 1566م)، حيث يشهد باستقلال المغرب من

[59] - مذكرات خير الدين بربروس، ص: 156.
[60] - مذكرات خير الدين بربروس، ص: 98.
[61] - مذكرات خير الدين بربروس، ص: 98.
[62] - مذكرات خير الدين بربروس، ص: 98.

منطلق واقعي رآه بأمّ عينه، وساهم فيه بنفسه، مما يحيلنا - دون أدنى شك - على قوة الدولة المغربية التي صنّفها الباحث التركي اوزتونا ضمن: **"الدول الكبرى.. التي حكمت.. في الأندلس"**[63]، وذلك في إشارة منه إلى تاريخ المغرب المَجيد، حينما كانت الأندلس ولاية تابعة للمغرب خلال عصر الدولتين المتعاقبتين: المرابطية والموحدية، بل إن هذا الباحث ذهب إلى أبعد من ذلك حين وصف فاس بالإمبراطورية، إثر حديثه عن دول شمال إفريقيا، حيث يقول: **"كانت إمبراطورية فاس في هذه المنطقة دولة كبيرة، وكانت تشمل أقصى غرب المنطقة بين الأبيض والأطلسي.. [وهي]: بالعربية: المغرب الأقصى"**[64]. وإثر حديثه عن معركة وادي المخازن الشهيرة (986هـ/1578م)، تحدث الباحث نفسه عن **"اتحاد إمبراطورية فاس مع الدولة العثمانية"**[65].

وما نستغربه في هذا الشأن، هو تسمية العثمانيين للمغرب بمملكة فاس في عصر الدولة السعدية، وذلك بالرغم من كون هذه الدولة قد اتخذت من مدينة مراكش قاعدة لملكها و(عاصمة سياسية) لها، قبل أن تنقسم في مرحلة ضعفها إلى مملكتين

[63] - اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج/1، ص: 193.
[64] - اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج/1، ص: 240.
[65] - اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج/1، ص: 383.

متناحرتين - يفصل بينهما نهر أم الربيع - هما: **"مملكة فاس"** و**"مملكة مراكش"**[66]. وهذا يدل على أن المصادر والمراجع المغربية لم تستعمل تسمية: "مملكة فاس" إلا في إطار المقارنة بينها وبين: "مملكة مراكش"، كما أنها لم تستعمل التسمية نفسها إلا في سياق الإشارة إلى المراحل النهائية للدولة السعدية التي تحيلنا على التمزق السياسي الذي كان يعيشه المغرب في أواخر هذه الدولة، حيث كانت مدينة فاس نفسها تنقسم إلى مدينتين اثنتين - منذ العصر المريني - هما: **"فاس البالي"**، و**"فاس الجديد"**، الذي كان يسمى أيضا: **"المدينة البيضاء"**[67]. و**"الدار البيضاء"**[68].

وفي هذا المضمار، يشير المؤرخ دييغو دي طوريس، إلى أن المغاربة أنفسهم كانوا يطلقون **"على المملكة كلها اسم**

---

[66] - عن انقسام الدولة السعدية؛ انظر:
- حركات (إبراهيم)، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، طبعة: 2000م، ج/2، صص: 277 - 283.
[67] - ابن الأحمر (أبو الوليد)، روضة النسرين في دولة بني مرين، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الرباط، 1962م، ص: 19 - 20.
- ابن مرزوق (محمد)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص: 247. ص: 401. ص: 405.
[68] - النميري (ابن الحاج)، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1990م، ص: 175.

**هاتين المدينتين"**[69]، ويقصد دي طوريس بـ: **"المملكة"**: المغرب. أما: **"هاتين المدينتين"**؛ فيقصد بهما: **"فاس البالي، و..فاس الجديد، ومعناه.. فاس القديمة وفاس الحديثة"**[70]. ومعلوم أن "فاس الجديد" قد أُسِّس من قِبل المرينيين الذين سبقوا الوطاسيين والسعديين، ليكون دار ملكهم وقاعدة حكمهم، وبعد ذلك أسسوا إلى جانبه "الملاّح"، وهو الحي الذي خُصِّصت سكناه لليهود، ولا تزال هذه الأحياء شاهدة على ذلك إلى يومنا هذا.

فما من شك أن شهادة دي طوريس حول مسألة التسمية لها دلالة قوية ووزن كبير، وذلك بالنظر إلى كون هذا المؤرخ الإسباني ذي الأصل القشتالي ألّف كتابه: **"تاريخ الشرفاء"**، ليجعل منه وثيقة تؤرخ للفترة السعدية منذ سنة: 908هـ/1502م؛ وهي المرحلة التمهيدية التي سبقت مرحلة التأسيس إلى غاية وفاة عبد الله الغالب سنة: 982هـ/1574م. وبالتالي فهذا الكتاب يعتبر شهادة حية؛ من أجنبي سلط الضوء على بعض الجوانب الدقيقة المتعلقة بالمغرب السعدي من خلال ما عايشه باعتباره شاهد عيان، حيث دخل المغرب في عهد

[69] - دي طوريس (دييكو)، تاريخ الشرفاء، ترجمة: د محمد حجي - د.محمد الاخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،1988م، ص: 142.
[70] - دييكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، ص: 142.

محمد الشيخ المهدي (947 - 964هـ/1540 - 1557م)، وبالضبط في سنة: 953هـ/1546م، ومكث فيه ما يقارب ثلاثين سنة، أي إلى ما بعد وفاة عبد الله الغالب السعدي (964 - 982هـ/1557 - 1574م)[71]. وتعتبر هذه الفترة التي أرخ لها دي طوريس، هي المرحلة التي شهدت الاصطدام بين كل من السعديين والعثمانيين، وهي تقريبا المرحلة نفسها التي تحدث عنها بربروس في مذكراته، وعبّر من خلالها عن رغبته الأكيدة في ضم بلاد المغرب للسلطة العثمانية، رغم اعترافه بأن **"سلطان المغرب يعتبر أكبر ملوك العرب في إفريقيا.. [و] ما لم يتم إخضاع[ـه].. فإنه من المستحيل بسط سيطرة الأتراك على إفريقيا"**[72].

وهذا يستفاد منه، أن بربروس كان يمنّي النفس بالسيطرة على المغرب دون أن يبلغ ذلك المرام، بل إنه اعترف أن الجزائر - حتى وبعد دخوله إليها سنة: 922هـ/1516م، خلال عهد سليم الأول ونجاحه في إخضاعها للعثمانيين - إلا أنها كانت لا تزال تضرب النقود باسم السعديين بمباركة الزيانيين

[71] - دييكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، ص: 4 - 5.
[72] - مذكرات خير الدين بربروس، ص: 95.

من "بني عبد الوادي"[73]، وهو الشيء الذي أثار حفيظة القائد العثماني "بربروس" الذي استنكر ذلك على الجزائريين بقوله: "**..كيف تسنى لكم أن تتركوا خليفة المسلمين، وسلطان العالم [سليم الثاني]، وتقرؤون الخطبة وتضربون النقود باسم سلطان المغرب؟!"**[74]. ولا شك أن النقود كانت - ولاتزال - رمزا "**للسيادة المغربية"**[75]، خاصة وأنها من الحوامل الصلبة التي كان يُنقش عليها "شعار" الدولة المغربية منذ تأسيسها خلال العصر الإدريسي إلى اليوم، وهو الشعار الذي سيتطور ليصبح توقيعا مُشفّرا (الطغراء السعدية) يُستعمل في الوثائق السعدية كـ: **"علامة سلطانية"** ترمز إلى سيادة السعديين، وخاصة خلال عهد السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م)، بخلاف الوثائق العثمانية التي كانت تُستعمل فيها (الطغراء العثمانية) كـ: **"علامة سلطانية"** ترمز إلى سيادة العثمانيين على الإيالات التابعة لهم بما في ذلك الإيالات الشمال - إفريقية إلى حدود الجزائر.

---

[73] - عن الزيانيين؛ ينظر:
- التنسي (محمد بن عبد الله)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان. مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتعليق: محمود أغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص: 109 - 110.
- ابن منصور (عبد الوهاب)، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م، ج/1، ص: 150.

[74] - مذكرات خير الدين بربروس، ص: 95.

[75] - محمد شقير، السلطة والمجتمع المدني، ص: 66 - 67 - 68.

من هذا المنطلق، يمكن القول أن **"العلامة"** التي كانت صورتها بسيطة في المغرب منذ العصر المرابطي، تطورت وتدرجت في مدارج التجويد إلى أن أصبحت صورتها **"طغراءً"** معقدة خلال العصر السعدي، حيث انتقلت من كونها **"علامة خطية"** سلطانية بسيطة، إلى **"علامة طغرائية"** سلطانية معقدة - مرتبطة بمفهومي **"التّعمية"** و**"التشفير"**[76]. والطغراء هي الصورة المشفّرة للعلامة، ولا شك أن تطور وتنوع صورها - من دولة إلى دولة - كان يرمز إلى "الخصوصية المغربية"، كما كان يرمز أيضا إلى تماسك البنيات السياسة والاجتماعية لهذه الدولة (الأمّة) عبر التاريخ، فضلا عن تسلسل أسرها الحاكمة التي حكمت المغرب منذ 12 قرنا دون انقطاع، وهو التسلسل الذي عبّر عنه الباحث المغربي محمد شقير بـ: **"استمرارية الدولة بالمغرب"**[77]، بينما عبر عنه المؤرخ والمفكر الجزائري محمد أركون (1346 - 1431هـ/1928 - 2010م) بـ: **"أطول استمرارية"** للدولة

---

[76] - عن تسمية العلامة الطغرائية؛ ينظر مقالنا:
- خبطة (محمد عبد الحفيظ الحسني)، العَلامة الطغرائية بين المغرب السعدي وتركيا العثمانية. دراسة تاريخية - فنية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة محمد الخامس، الرباط، العدد: 35 (2015م)، صص: 179 - 212.

[77] - محمد شقير، تطور الدولة في المغرب، ص: 95.

المغربية في شمال إفريقيا[78]، أما مفتي الديار التونسية؛ محمد الفاضل بن عاشور (1327 - 1390هـ/1909 - 1970م)، فقد أشار قبلهما إلى **"سعة الحضارة وضخامة الدولة"** المغربية[79]، بل وأكد على الدور الكبير للمغرب وفضله على سائر البلدان المغاربية في مختلف الفترات التاريخية، حيث يقول معترفا: **"إننا مدينون في هذا الميدان للمغرب بكل شيء، فنحن نقرأ القرآن بوقف الإمام الهبطي الفاسي، ونصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بتلاوة دلائل الخيرات للجزولي، ونفهم فضائل النبي صلى الله عليه وسلم، وما خصه به من مكارم الأخلاق بواسطة كتاب: الشفا للقاضي عياض، كما أن رواية علماء تونس في الحديث كلها تتصل في القديم والحديث بعلماء مغاربة من عهد دراس بن إسماعيل وأبي عمران الفاسيّيْن"**[80].

---

[78] - يؤكد المؤرخ الجزائري محمد أركون أن **"الدولة المغربية عرفت أطول استمرارية، مقارنة بدول أخرى في منطقة شمال افريقيا. فبخلاف الدولة الجزائرية التي عرفت عدة تقطعات في الزمان والمكان، تمتعت الدولة المغربية باستمرارية متواصلة سواء في مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي أوفي المرحلة الاسلامية"**. وهكذا يشير أركون إلى أن **"الدولة المغربية ذات الطابع الإسلامي، وعلى غرار نظيرتها التونسية، تميزت بأطول استمرارية"**. يُنظر:
- محمد شقير، تطور الدولة في المغرب، ص: 95.

[79] - المنوني (محمد)، قبس من عطاء المخطوط المغربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1999م، ص: 661.

[80] - الكتاني (محمد إبراهيم)، الكتاب المغربي وقيمته، مجلة الحكمة، عدد: 12، 1997م، ص: 397.

ولا شك أن ظهور مثل هؤلاء العلماء الأعلام الذين رسموا تراث الغرب الإسلامي بكافة تجلياته، هو مرتبط - لا محالة - بالاستقرار السياسي الذي كان ينعم به المغرب طيلة مراحله التاريخية، فضلا عن استمرارية الدولة المغربية إلى يومنا هذا.

والملاحظ أن الدولة المغربية استطاعت - ولتحقيق هذه الاستمرارية - الوقوف في مختلف مراحلها التاريخية أمام كل القوى الخارجية المتوثبة، وخاصة خلال عصر السعديين الذين وبعد تحريرهم للثغور المغربية التي سقطت خلال العصر الوطاسي في أيدي الإيبيريين، سارعوا إلى تأسيس دولة مغربية قوية، استطاعت إلى - حد ما - الوقوف أمام تغلغل حركة **"الاكتشافات الجغرافية"** ذات الأهداف الاستعمارية؛ وهي الحركة التي نظمها الإيبيريون لتقسيم العالم بين إسبانيا والبرتغال خلال مستهل العصر الحديث، حيث افتتحها الإسبان بعد سقوط آخر إمارة إسلامية بالأندلس، ألا وهي: إمارة بني الأحمر (أو بنو نصر) بغرناطة سنة: 897هـ/1492م، بينما دشنها البرتغاليون قبل ذلك باستيلائهم على مدينة سبتة المغربية سنة: 818هـ/1415م منذ أواخر العصر المريني.

فلا شك أن انتصار السعديين على البرتغاليين في معركة وادي المخازن الشهيرة (986هـ/1578م)[81]، أعطى انطباعا صريحا بقوة المغرب واستماتته في حماية حدوده وتحصين ثغوره أمام سائر القوى العسكرية في **"البحر الأبيض المتوسط"**، بما في ذلك الإمبراطورية العثمانية التي كانت تروم بسط نفوذها على المغرب أو (دولة فاس) حسب تعريفهم إياها، وذلك للحصول على منفذ استراتيجي على **"المحيط الأطلسي"**، لكن حضور السعديين عسكريا ودبلوماسيا، حال بين العثمانيين وبين تحقيقهم لهذا المطلب المُلِحّ.

من خلال هذه القناعة بالذات، أبى السعديون إلا أن يرسموا **"طغراواتهم"** الرسمية، بشكل مستقل - من حيث الصورة الفنية والدلالة النصية - عن الطغراء العثمانية، كتعبير ضمني عن

---

[81] - إن انتصار السعديين على البرتغاليين في معركة وادي المخازن الشهيرة (30 جمادى الثانية 986هـ/3 شتنبر 1578م)، حوّل الانكسار إلى انتصار؛ وهو الانتصار الذي ظل غصة في حلق العالم المسيحي قرونا طويلة، إلى درجة أشار معها "فيرنان بروديل" (Braudel Fernand) إلى أن هذه المعركة كانت أكبر كارثة حلت بالبرتغال وبتاريخها السياسي، حيث أنهت حكم أسرة **"أفيس" (Avis)** العريقة، كما أفقدت البلاد سطوتها واستقلالها، لتكون بذلك **"آخر حملة صليبية شنتها القوات المسيحية في البحر الأبيض المتوسط":**

**(dernière croisade de la Chrétienté méditerranéenne)**

يُنظر:

- Fernand Braudel, La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, seconde édition revue et augmentée, Paris, Librairie Armand Colin, 1966 , 2 vol. vol. II, p. 462.

ذلك الاستقلال الذي يرمز إلى **"سيادة"** دولتهم، وقوة سلطتها المركزية، خاصة وأن الطغراء كانت تعتبر آنئذ ذلك التوقيع الرسمي للدولة، وتلك الشارة أو العلاَمة المميِّزة، التي تُستفتح بها الرسائل والمكاتبات الرسمية بين السلاطين، فهي **"رمز السيادة"**؛ بحكم احتواء تلك الرسائل أو المكاتبات الموشّحة بها لقرارات السلطان، ومواقفه تجاه القوى السياسية الأخرى المزامنة لفترة حكمه، وذلك في إطار ما يمكن تسميته: **"بالعلاقات الدبلوماسية"**. أما نقشها على المدافع أو **"الأنفاط"** حسب تسميتها عند السعديين والوطاسيين من قبلهم[82]، فهو لا يُعبّر عن مفهوم **"السيادة"** فحسب، بل يتعداه ليعبر عن مفهوم **"التغلب"**، أو - على الأقل - الظهور بمظهر القوة والمنعة، بينما يُعبّر نقشها على النقود عن استقرار الدولة وقوتها الاقتصادية.

وحينما نتحدث عن هذه الطغراوات، فإننا نتحدث - ضمنيا - عن **"الشعارات"** التي تتميز بها دولة عن دولة، وذلك من حيث

---

[82] - سُميت بـ: **"المدافع"**، كما سميت أيضا بـ: **"الأنفاط"** خلال العصر الوطاسي، وهذا يستنتج - على سبيل المثال لا الحصر - من خلال فصل: **"ذكر حركة وادي العبيد"**، كما أورده صاحب منظومة عروسة المسائل. ينظر:

- الكراسي (أبو عبد الله محمد)، عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل، المطبعة الملكية، الرباط، 1963م. وردت هذه المنظومة أيضا عند:

- داود (محمد)، تاريخ تطوان، المجلد الأول، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1959م، صص: 146 - 154.

رمزيتها السياسية التي نجدها حاضرة في كل ما يتعلق بمفهوم الدولة ذات **"السيادة"** من نُظم وثوابت وخصوصيات. كما نجد آثارها في وثائق الدولة ورسومها ودواوينها السلطانية، بل ونجد آثارها أيضا في أحوال خُدّام الدولة ورجالاتها حسب مراتبهم ووظائفهم التي تحددها - كما جرت بذلك العادة - أزياؤهم الرسمية، وعلى رأس تلك الأزياء؛ نجد **"اللباس الملكي"**[83]، أو**"الزي السلطاني"** الذي كان في حد ذاته **"شعارا"** يجسده السلطان، بدءاً بعمامته أو قلنسوته التي كان يعتمرها، ومرورا بخلعته السلطانية التي كان يلبسها، ثم انتهاء بحذائه أو نعله الذي كان ينتعله، إلى درجة وصفت معها بعض المصادر العثمانية السلطان من خلال لباسه الذي يلبسه من أم رأسه إلى أخمص قدميه، بوصف: **"السلطان الطُّغراء الغرّاء"**[84].

بل إن هذا الوصف (أي وصف السلطان بالطغراء)، قد انتقل إلى المغرب بشكل أو بآخر، وظل مستعملا فيه إلى تاريخنا المعاصر كما تشهد على ذلك بعض الوثائق المغربية المتأخرة التي تنتمي إلى العصر العلوي، ونذكر منها - على وجه

---

[83] - عز الدين العلام، الآداب السلطانية. دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، ص: 124.
[84] - العباسي (عبد الرحيم بن عبد الرحمن)، منح رب البرية في فتح رودس الأبية، تحقيق: فيصل عبد الله الكندري، حوليات كلية الأداب، الكويت، الحولية: 18، الرسالة: 122، 1997 - 1998م، ص: 151.

الخصوص - رسالة مؤرخة في: يوم الجمعة 2 من ذي القعدة 1355هـ/14 يناير 1937م، بعثها السلطان العلوي محمد الخامس (1346 - 1380هـ/1927 - 1961م) إلى صاحب المملكة التونسية (الحسينية): أحمد باشا باي الثاني (1347 - 1361هـ/1929 - 1942م)، حيث وصفه فيها بـ: **"طغراء العائلة الحسينية"** كناية عن علو شأنه ورفعته، باعتباره رأس هذه العائلة وسيدها وحاكمها - شأنه في ذلك شأن - الطغراء التي تعد رأس الوثيقة وطرّتها، بل وأشرف عناصرها رسما وتجليلا، لاسيما وأنها التوقيع الرسمي للسلطان الذي يرمز إلى نفوذ أمره وسيادته[85]. فضلا عن ذلك؛ يدل هذا التعريف أن المغاربة كانوا يفرقون بين العلامة المغربية التي ترمز للسيادة المغربية والطغراء العثمانية التي ترمز للسيادة العثمانية، لذلك فتعريف أمير العائلة الحسينية في تونس بالطغراء يحيلنا على عهد البايات الذي كانت فيه تونس مجرد إيالة عثمانية تابعة لاستانبول.

وتعريف "السلطان" بـ: "الطغراء"، مرده إلى كونها توقيعه الرسمي الذي يعبر عن سيادته ونفوذ أمره، مما يؤكد صحة

---

[85] - مصدر الرسالة: مجموعة: (Beaussant Lefèvre) - باريس، رقم: 145.

الجمع بين الطغراء كرسم، والسيادة كفعل، والسلطان كحاكم. له "شعارات" تعبر عن سيادته التي نجد مظاهرها في أحواله ومأكله وملبسه.

من هنا يمكن القول أن الطغراء هي صورة محورة وتجريدية (بالخط) ترمز في مدلولها إلى السلطان، ولم يكن لها أن تتطور لولا إعمال الحرف العربي في تركيب أشكالها وصورها المعلومة، تلك الأشكال والصور التي تم تجاوزها منذ مستهل العصر الحديث، وبالتالي اختزالها في صورة فنية أكثر تعقيدا تتصف بالتشفير والتعمية؛ مثلتها على وجه التحديد: العلامة السلطانية الخاصة بالعثمانيين، والتي تُعتبر حسب رأيي؛ أول علامة أُطلق عليها - بشكل رسمي عند الباحثين - إسم: **"طغراء"**.

وقد كانت العناصر الفنية للطغراء، ترمز إلى العناصر السيادية للسلطان، أما الدعاء له بالنصر والتمكين بعبارات من قبيل: **"أعز الله نصره"، و"خلّد ملكه"، و"ضاعف اقتداره"**[86]. و**"المظفر دائما"**[87] ، فقد كانت ترمز إلى شرعية حكمه، وقد

---

[86] - استعملت هذه الأدعية في الطغراوات المستخدمة قبل العثمانيين وعلى رأسها الطغراء المملوكية. ينظر:
- ابن شيت، معالم الكتابة ومغانم الإصابة، ص: 37.

[87] - كان هذا الدعاء خاص بالطغراء العثمانية. ينظر: تشريحنا للطغراء العثمانية في هذا الكتاب.

أشار أحد الباحثين إلى أن هذه الأدعية كانت تُعدّ من أهم مميزات الطغراء في ذلك العصر[88].

**2 - الطغراء السعدية بعض عناصرها الفنية، وعلاقتها ببعض التقاليد المخزنية في المغرب (دراسة مقارنة)**

لا يخفى علينا أن الطغراء العثمانية تتألف من خمسة عناصر فنية، حددها العثمانيون فيما يلي: الطوغ - السرأة (السرّة أو الكرسي) - بيضتا الطغراء - القول - الزخرفة والتذهيب.

وحتى نربط هذه العناصر بالسيادة المغربية من جهة، وبخصوصية التراث المغربي من جهة أخرى، لا بد أن نسلط عليها الضوء، لنتعرف على دلالتها المصطلحية وخلفيتها التاريخية فضلا عن بعدها الوظيفي.

**2 - 1 - الطـــــــوغ:**

إذا كان السلطان يتميز بعمامته أو قلنسوته، فإن الطغراء كانت تتميز بوجود **"أطواغ"** أو **"طوغات"** تشكل رأسها، و **الطوغ** في الرسم الطغرائي هو الألف أو اللام أو رقبة كل من الطاء والظاء، ومن هذا الحرف اقتبست تسميته التي تم تحريفها

---

[88] - فضائلي، أطلس الخط والخطوط، ص: 520.

من طرف العثمانيين بسبب عجمتهم (طاء = طوغ أو طغ) (Tug). وهناك تفسير آخر للطوغ في القواميس التركية التي جعلت منه مرادفا للكلمات التالية: **"لواء"**، أو**"راية"**، أو**"علم"**. وكان الطوغ يُروّس ويُتوّج عند الأتراك بخصلة أو ذؤابة من ذيل الفرس.. وهي عادة قديمة عندهم تشير إلى سيادة الدولة التي تستمد قوتها من خلال التوسع والفتح الذي كان يرمز له الفرس عند الأتراك منذ عصر السلاجقة[89].

ولا شك أن ما ذكرناه؛ يفسر بل ويعلل سبب توفر الطغراء العثمانية على ثلاث طوغات متجاوبة ومتساوقة، تنتهي في أعلاها بزلفات على شكل خصلات من ذيل الحصان، وربما تُعبر الزلفات أيضا عن ثوب أوبردة، وفي هذا الشأن يشير دوسون إلى أن أول من اتخذ الطوغ في الإسلام شعارا للملك، هو مؤسس الدولة الأموية؛ معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه، حيث اتخذ قضيبا معدنيا رَوَّسه بربط ثوب من ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتاعه بثمن باهظ من أبناء الشاعر كعب بن زهير بن أبي سلمى الذي ألقى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بردته بعد مدحه بقصيدته المشهورة (بانت

[89] - اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج/1، ص: 19.

سعاد)، وكان معاوية رضي الله عنه يتحلى أيام الاحتفالات بشارات الملك هذه، ثم مالبث أن ورث أبناؤه ذلك عنه[90].

وقد ورد في المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، أن الطوغ معناه: **"ذؤابة من وبر الخيول تُعلق على العمامة التي يلبسها أركان الدولة، وهي علامة مميّزة لهم حسب مكانتهم"**[91].

أما المراجع العثمانية، فقد أوردت أن التتار والمغول كانوا يستعملون الطوغ المأخوذ من شعر ذيل الحصان، كشارة للسيادة، حيث كانت الجيوش ترفع ذؤابة منه على عُمد أو رماح منتصبة في المقدمة[92]. ويُطلق الطوغ أيضا على خصلة الشعر التي تُشبك في دبوس مرصع يرشق في عمامة (الخاقان) العثماني، وذلك قبل استبدال العمامة الخاقانية بالطربوش الأحمر ذي الذؤابة السوداء.

ومعلوم أن كلمة: **"طربوش"** ذات جذر تركي ترتبط بكلمة: **"سربوش"** أي: **"غطاء الرأس"**، ثُم حُرفت إلى **"شربوش"**.

---

[90] - دوسون، نظم الحكم والإدارة في الدولة العثمانية، ص: 50.
[91] - صابان (سهيل)، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة: عبد الرزاق محمد حسن بركات، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثالثة (43)، الرياض، 2000م، ص: 149.
[92] - اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج/2، ص: 278.

وورد في **"النجوم الزاهرة"**: **"فركب وعليه خلعة أطلس، بطرز زركش أو شربوش مكلل مزين"**. وقد وردت الكلمة أيضًا في شعر ابن النبيه، الذي قال[93]:

**ترى قُندس الشربوشِ فوقَ جبينِهِ كأهدابِ أحداقٍ بُهِتنَ من البدر**

ويُنعت الطربوش الأحمر ذو الذؤابة السوداء في اللغات الأوروبية بكلمات: FEZ أو FES أو FAS نسبة إلى فاس، وفي هذا الشأن، نشير إلى أن أصل هذا الطربوش، يرجع إلى المغرب الذي كان يصطلح العثمانيون على تسميته بـ: دولة **"فاس"**[94]؛ نسبة إلى العاصمة التاريخية لهذا البلد كما ذكرنا ذلك آنفا، وذلك لأنه انطلق من مدينة فاس المغربية إلى غيرها من المدن والأقطار، وذلك بعدما تبناه العثمانيون الذين سيطلقون عليه: **"الطربوش الفاسي"**، أو**"طربوش الفاس"**[95]، أو**"فسس"**، وهي التسمية التي وردت في معجم الدولة العثمانية

---

[93] - سليمان (أحمد السعيد)، ألفاظ حضارية بطل استعمالها، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ماي 1989م، ج/64، ص: 159.

[94] - يُنظر:
- مذكرات خير الدين بربروس، صفحات: 20 - 98 - 99 - 156.
- الترّ (عزيز سامح)، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة: عبد السلام أدهم، دار لبنان للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: 1969م، (الجزآن الثاني والثالث المتعلقان بتاريخ تونس وتاريخ إيالة طرابلس الغرب)، ص: 47.
- الدولة العثمانية. تاريخ وحضارة، ج/1، ص: 198.
- اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج/1، صفحات: 193 - 240 - 249 - 383.

[95] - يُنظر:
- التازي (عبد الهادي)، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مطابع فضالة، المحمدية، (طبعات أجزاء الكتاب بين سنتي: 1986م - 1989م)، ج/3، ص: 163 - 164.

الذي ذُكر فيه أن **"(فسس) بكسر الفاء الممالة [وهي] غطاء للرأس يُصنع في مدينة فاس من صوف أو لباد أحمر اللون.. وأصبح (فسس) الغطاء الرسمي للرأس عند العثمانيين بعد إلغاء فرقة الانكشارية. وكان ذلك بمقتضى قانون صدر عام: [1140هـ] 1728م. وفي عام: [1251هـ] 1835م أُقيمت في استانبول (فسس خانه).. [لكن ما لبث أن] ألغي لبسه رسميا عام: [1343هـ] 1925م"**[96]. أي: بعد سقوط الخلافة العثمانية.

وقد كان **"الطربوش الفاسي"** الذي يُلبس مع الجلباب المغربي، يُعرف بلسان المغاربة - منذ العصر المريني - بـ: **"الشاشية"** نسبة إلى الذؤابة السوداء أو خصلة الشعر التي تشبه شعر ذيل الحصان. وفي هذا الشأن، نستدل بإشارة أوردها ابن الحاج النميري (ولد سنة: 713هـ/1313م) في كتابه: **"فيض العباب"** الذي ألفه في مناقب أبي عنان المريني (749 - 759هـ/1348 - 1358م)، حيث قدم لنا وصفا وافيا لجيش هذا السلطان المريني الذي كان يتأهب للزحف نحو إفريقية عبر قسنطينة انطلاقا من المدينة البيضاء (فاس الجديد) في: 20

---

[96] - حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ص: 100 - 101.

جمادى الأولى 758هـ/11 ماي 1357م، وهو الجيش الذي كان يتكون من عدة أجناس يمكن التمييز فيما بينها من حيث اللباس والعادات والشعارات، فالمغاربة مثلا - حسب وصف النميري - كانوا يضعون فوق رؤوسهم **"القلانس والشواشي المذهّبة والمفضّضة"**[97]، أما "الأتراك" الذي دخلوا في خدمة المرينيين، فقد كانوا يضعون فوق أعلامهم أطواغا مزينة بخصلات من الشعر، اتخذوها شعارا لهم قبل ظهور العثمانيين. يقول النميري في ذلك: **"وتقدم بين يديه - أيّده الله - قواد الأجناد والأعلاج والأتراك والوصفان كل قائد له علم معروف، ولواء إليه مصروف، وترتيب عليه موقوف. ولقواد الترك طبنخالات تحفظ نظامهم الشرقي ومزامير هائلة مما عرفوا بها الملك المصري. وبأعلى أعلامهم الشعر الذي جعلوه شعارا، وزادت به الحروب استظهارا"**[98].

وفي معرض حديثه عن الدولة العثمانية، تحدث ابن خلدون (732 - 808هـ/1332 - 1406م) عن خصلات الشعر هذه، واعتبرها شعارا للعثمانيين، حيث يقول في ذلك: **"وأمّا دولة التّرك [يقصد الدولة العثمانية التي كانت في بداياتها الأولى]**

97 - النميري، فيض العباب، ص: 225.
98 - النميري، فيض العباب، ص: 223.

**لهذا العهد بالمشرق، فيتّخذون راية واحدة عظيمة وفي رأسها خصلة كبيرة من الشّعر يسمّونها الشّالش والجتر، وهي: شعار السّلطان عندهم، ثمّ تتعدّد الرّايات ويسمّونها السّناجق، وأحدها سنجق وهي الرّاية بلسانهم"**[99].

في السياق نفسه، يشير بعض الباحثين إلى أن الأطواغ هي أذيال الخيول، حيث كانت هي **"العلامات المميزة للقيادة العسكرية"**، فضلا عن كونها **"رموز السلطة السلطانية"**، وقد كان للإمبراطورية العثمانية موظف خاص بها يدخل ضمن أغاوات الرِّكاب السلطاني، يسمى: **"حامل العلم"** أو **"مير علم"**، ودوره هو حراسة الأعلام و**"الأطواغ الستة"**[100]. أما **"طوغات الطغراء"** التي ينحصر عددها في ثلاثة منتصبات تنتهي في أعلاها بزلفات تزيينية على شكل أشرعة - تشبه أشرعة سفن الأسطول العثماني - فهي تعبر عن **"أمير البحر"** الذي كان من **"ذوي الأطواغ الثلاثة"**[101].

---

[99] - ابن خلدون، المقدمة، ص: 321.

[100] - دوسون، نظم الحكم والإدارة في الدولة العثمانية، ص: 7. يُنظر أيضا:
- إينالجيك (خليل)، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، ترجمة: محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 2002م، ص: 128 - 129.

[101] - دوسون، نظم الحكم والإدارة في الدولة العثمانية، ص: 52.

وقد ذهب دوسون إلى أن العثمانيين كانوا يستعملون الطغراء كشارة في الأعلام العثمانية إلى حدود القرن التاسع عشر الميلادي، حيث يذكر أنهم كانوا يرفعون في سفنهم أعلاما يميز من بينها علم أمير البحر وهو قائد الأسطول، وكان ذلك العلم عليه **"رمز السلطان (الطغرة)"**[102]. ويشير أيضا إلى أن **"..الطرة أو الطغراة..[كانت] تُرى.. مرسومة بالحبر.. داخل الأبنية العامة وعلى المراكب الحربية وعلى بيوت موظفي الدولة"**[103].

من خلال ما سبق، يمكن القول أن الطوغات - وعددها ثلاثة - هو أمر بنيوي في رسم كل من العلامة السعدية والطغراء العثمانية، ولا يختلفان سوى في نصّيهما، وكذا في وضعية تلك الطوغات التي تحكمت في شكل الطغراء وبنائها الهيكلي. فالعلامة السعدية تبدو مستلقية بحكم امتداد ألفاتها (طوغاتها) امتدادا أفقيا، مما جعلها تمتد على محور أفقي، أما الطغراء العثمانية، فهي قائمة بحكم امتداد ألفاتها امتدادا رأسيا، يتسم بميلان خفيف إلى اليمين أو إلى اليسار.

---

[102] - دوسون، نظم الحكم والإدارة في الدولة العثمانية، ص: 191.
[103] - دوسون، نظم الحكم والإدارة في الدولة العثمانية، ص: 55.

ولعل هذا الامتداد العمودي للطوغات، هو ما جعل الطغراء كلها تمتد على محورعمودي. ومن أوجه التشابه الأخرى بين الطغراءين؛ **"الزلفات التزيينية"** للطوغات، حيث تبدو كل واحدة منها في علامة زيدان السعدي على شكل منقار إوزة، وهي الصورة نفسها التي تبدو عليها في الطغراوات العثمانية المزامنة لها، ولا تختلف تلك الزلفات في الطغراءين معا إلا في وضعها المحوري، فإذا كانت زلفات علامة زيدان السعدي أفقية بسبب الامتداد الأفقي للطوغات، فإن زلفات الطغراء العثمانية عمودية بسبب الامتداد العمودي للطوغات.

**2- 2- السرأة (السرّة أو الكرسي):**

تشكل السرأة (أو السرّة) الجزء الذي تبدأ منه كتابة النص أوالمتن المراد اعتماده لرسم الطغراء، وهى بمثابة قاعدتها أو كرسيها الذي ترتكز عليه، والملاحظ أن شكلها يشبه شكل: **"الكمثرى"** في الطغراء العثمانية، بيْد أن شكلها في العلامة السعدية؛ يعرف نوعا من الاستطالة والامتداد، وذلك راجع إلى الشكل العام لمجموع العلامة؛ وكذا إلى النص الذي تتألف منه كل واحدة منهما، فإذا كانت عبارة: **"الحمد لله وحده"**؛ هي نص العلامة السعدية منذ عهد أحمد المنصور الذهبي، فإن

أسماء السلاطين الأتراك؛ هي التي كانت تشكِّل النص الذي تتألف منه الطغراء العثمانية، وذلك بحسب اسم كل سلطان من سلاطين آل عثمان، وقد نجد في بعض الأحايين، نصوصا أخرى؛ وُظّفت في الطغراوات المشرقية الحديثة، كالبسملة وبعض الأحاديث النبوية والآيات القرآنية وغيرها.

**2 - 3 - بيضتا الطغراء:**

إن الاختلاف بين العلامة السعدية والطغراء العثمانية؛ يتجلى من ناحية أخرى في كون بيضتي الطغراء العثمانية؛ تشكلان كتلة واحدة باتحادهما، حيث تحتوي البيضة الكبرى البيضة التي تصغرها في شكل متوازن يظهر يسار الطوغات الثلاثة، وتشكيل البيضتين راجع إلى توظيف عراقة حرفي النون في كلمتي: **(ابن)** - **(خان)**، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الإسم؛ هو لقب اتخذه سلاطين العثمانيين في المرحلة الأولى للطغراء العثمانية، وقد استمر استعماله حاضرا في كتابتها على هذا الشكل، حتى أصبح قاعدة ثابتة لا يجوز الإخلال بها، وهذا معناه؛ انه إذا كان النص المراد توظيفه في رسم الطغراء وبيضتيها لا يتوفر على حرفين من الجنس نفسه كحرف النون، أو حرفين لهما حوض كحوض النون مؤتلفين أو مختلفين، فإنه

يتوجب على الخطاط في هذه الحالة؛ توظيف بعض الأحرف الأخرى لرسم بيضتي الطغراء، كحرف الدال مثلا أو حرف الراء أو الأحرف الأخرى التي تملك عراقات وزوائد تقبل التطويع، بل ويجوز للخطاط توظيف بعض الكشائد بعد تطويعها من أجل الغرض نفسه.

هذا كل ما يتعلق ببيضتي الطغراء العثمانية، أما فيما يتعلق ببيضتي العلامة السعدية، فإننا نجد كل واحدة منهما مستقلة بنفسها، والأكثر من ذلك، اختلاف تموضعهما. فإذا كانت البيضة الكبرى تقع في اليسار، فإننا نجد البيضة الصغرى تتناظر معها في جهة اليمين، ويرجع ذلك إلى الامتداد الأفقي للألفات (الطوغات) التي فرضت باستلقائها هذا التوزيع، حيث شكلت بتراتبها - الذي يطبعه قانون التوازي - قاعدة أفقية للبيضتين؛ وفق نمط هندسي يطبعه التوازن الهيكلي للعلامة. يُضاف إلى ذلك، أن البيضة الصغرى للعلامة السعدية، تشكل - بالتفافها حول نفسها وفق نمط بديع - كلمة: **"الحسني"**، وهو لقب اتخذه سلاطين الدولة السعدية للتذكير بأثالة محتدهم، وعراقة جذمهم، الذي يتصل بالنسب الشريف الممتد إلى الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما، أما البيضة الكبرى فيشكّلها

تعانق ألف الجلالة بحرف الهاء الدالة على كلمة: **"انتهى"**، حيث يكون ذلك التعانق متصلا كما نشاهده في علامة أبي المعالي زيدان التي ندرسها، أومنفصلا كما شاهدناه في علامة أبيه أحمد المنصور الذهبي التي سبق وقمنا بتشريحها على سبيل المثال لا الحصر.

بالإضافة إلى ذلك، نلاحظ التشابه الكبير بين **"راء المظفر"** في الطغراء العثمانية، و**"الياء السيفية"** في العلامة السعدية، حيث تخترقان معا؛ البيضة الصغرى من فضائها الداخلي نحو الفضاء الخارجي في كلتا الطغراءين. وسُميت راء المظفر بهذا الإسم، لأن العثمانيين كانوا عند كتابة أسماء سلاطينهم، يضيفون إليها عبارة: **"المظفر دائما"** كما نلاحظه في كل طغراواتهم، فكانوا عادة ما يرسلون راء كلمة: "المظفر" بشكل تخترق معه البيضة الصغرى، بينما كانوا يضعون كلمة: **"دائما"** بأجمعها داخل فضاء تلك البيضة. وحتى يكتمل وجه المقارنة، نشير إلى أن السعديين استخدموا في علاماتهم، الحرفين الأخيرين من كلمة: **"الحسني"**، وهما: **"النون والياء السيفية"**، في الموقع نفسه لكلمة: **"المظفر"**، بينما استخدموا الحرف الثالث من الكلمة نفسها (الحسني)، وهو: **"حرف**

**الحاء"**، في الموقع نفسه لكلمة: **"دائما"** من الطغراء العثمانية. وعليه، يمكن القول؛ أنه ورغم تشابه عملية التوزيع بين العنصرين المذكورين في العلامتين: السعدية والعثمانية - إلى حد ما - إلا أن الأحرف أو الكلمات المستخدمة فيهما، مختلفة بسبب اختلاف النص أوالمتن الموظف في كل واحدة منهما.

### 2 - 4 - القـــــــــــول:

هو ذنب الطغراء الذي يتكون من خطين متجاوبين، ويعني في اللغة التركية: **(kul)**[104]، أي: **"التابع"، أو "العبد"**، و**"قره قول"** أو**"قره غول"** معناه كما ورد في معجم الدولة العثمانية هو: الجندي أو العبد الأسود[105].

ويدل **"قول"** الطغراء في رمزيته على **"مماليك السلطان"** الذين تلقوا تعليما خاصا في البلاط العثماني، أهّلهم ليكونوا في المراكز العليا للدولة، وقد عُرف هذا النظام باسم: **"نظام القول"** الذي يمكن اعتباره حجر الأساس للدولة العثمانية، لدرجة أن "ب.جيوفيو" (P.Giovio)، وصف في سنة: 944هـ/1537م

---

[104] - صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص: 186.
[105] - حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ص: 109.

**"القول"** بأنه **"ذلك الذي يطيع - طاعة عمياء - رغبة السلطان وأوامره"**[106].

ويذكر المؤرخ العثماني إينالجيك أنه كان - في المجتمع العثماني - يعتبر شرفا وامتيازا للمرء أن يكون مملوكا للسلطان، ولذلك فمن الخطأ ترجمة تعبير **(قول): kul إلى (عبد): slave**[107]، لاسيما وأن تسمية: **"القول أوغلية"**، أو**"الكراغلة"** (بالتركية: Alkraglh)، (بالإنجليزية: Kouloughlis)، كانت تطلق في كل من الجزائر وتونس وطرابلس الغرب (ليبيا) على المواليد من الزيجات التي كانت بين الانكشاريين وبنات الأهالي في الولايات الشمال إفريقية[108]، عدا المغرب الذي لم يكن تابعا - بالطبع - للدولة العثمانية.

وقد أشار التمكروتي (941 - 1003هـ/1534 - 1594م) في: **"النفحة المسكية"** إلى هذه الظاهرة، وذلك من خلال إجراء مقارنة بين السعديين والعثمانيين، حيث ذهب إلى أن: **"التُّرك جاروا على أهل تلك البلاد كثيرا وأفسدوها، وضيقوا على أهلها في أرضهم وديارهم وأموالهم حتى**

---

[106] - إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية، ص: 122.
[107] - إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية، ص: 139.
[108] - التر، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، (الجزآن الثاني والثالث المتعلقان بتاريخ تونس وتاريخ إيالة طرابلس الغرب)، ص: 110 - 111.

**استباحوا حريم المسلمين. وحتى أن بنت الإنسان من الأعيان والأكابر إذا كان لهم فيها غرض لا يقدر أحد أن يمنعها منهم، أعني بالنكاح، ولا أن يُنكحها لغيرهم. إلى غير ذلك من الذل والإهانة التي هم فيها معهم. هكذا أهل إفريقيا كلهم معهم"**[109].

ومهما يكن من أمر، فقد كان الكراغلة يتصفون بشدة البأس، إلى درجة أن مصطلح: "مْكْرغل" لايزال يُطلق في فاس ونواحيها على كل شخص شديد المراس.

وحسب تقديري الخاص - وبحكم انتمائي إلى مدينة فاس - يمكن القول أن استعمال هذا المصطلح في فاس ونواحيها يرتبط بمحاولة العثمانيين السيطرة على هذه المدينة - التي تُعد العاصمة التاريخية للمغرب - خلال عهد سليمان القانوني (926 - 974هـ/1520 - 1566م)، وبالضبط في سنة: 961هـ/1554م[110]. ولبلوغ ذلك المرام، استعمل العثمانيون أتراك الجزائر من الكراغلة الذين كان آباؤهم من جيش الإنكشارية التركي، وهو الجيش الذي حاول إبادة حكام

---

109 - التمكروتي، النفحة المسكية، ص: 75.

110 - مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تحقيق: عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، الطبعة الأولى: 1994م، ص: 22 - 23.

تلمسان "الزيانيين"[111] غداة سيطرة العثمانيين على الجزائر سنة: 922هـ/1516م، لكن الزيانيين الناجين من مذبحة العثمانيين فروا إلى المغرب واستقر معظمهم بمدينة فاس، حيث تحالفوا مع السلطان عبد الله الغالب السعدي (964 - 982هـ/1557 - 1574م)، ولعبوا دورا مهما في إيقاف الزحف العثماني من منطلق ثأرهم القديم، وخاصة في معركة وادي اللبن التي جرت بين السعديين وبين العثمانيين في سنة: 965هـ/1558م، بمنطقة تيسة (إقليم تاونات - حاليا) شمال مدينة فاس، وهي المعركة التي قطعت آمال العثمانيين نهائيا في الحصول على بلاد المغرب، حيث انتصر فيها السعديون انتصارا ساحقا بمساعدة حلفائهم الجدد "بني زيان". وكاد حسن باشا قائد القوات العثمانية أن يلقى حتفه في هذه المعركة لولا أن نجح في الفرار بجلده[112]، وتقديرا لبسالتهم؛ قُدِّمت لبقايا

---

[111] - منذ ظهور دولة بني عبد الوادي الزناتيين في المغرب الأوسط (الجزائر)، وهم في صراع عقيم مع أبناء عمومتهم المرينيين الذين ملكوا المغرب الأقصى، وبالنظر إلى تفوق بني مرين على بني عبد الواد من حيث القوة والعدد، اضطر هؤلاء إلى انتحال النسب النبوي في المرحلة الثانية لدولتهم، فصاروا يسمون بـ: "الزيانيين"، ووجدوا من بعض الفقهاء من يصنع لهم عمود نسب ويؤلف في بيان شرفهم كتابا، وأهمهم الفقيه المؤرخ **"محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني"** (ت. 899هـ/1493م)، الذي ألف كتابا بعنوان: **"نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ومن ملك من سلفهم الأعيان فيما مضى من الأزمان"**.

- التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص: 109 - 110.
- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج/1، ص: 150.

[112] - اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج/1، ص: 307.

- Henry de Castries, SIHM, Espagne, E. Leroux (Paris), Paul Geuthner,1956, t. II, p. 433 et p. 454 - 458.

الزيانيين الأراضي المحيطة بأرض المعركة، فكانت ولادة قبائل **"الحياينة"**، الذين سيُستخدمون كدرع لحماية فاس من أي زحف عثماني. و الحياينة يوجدون اليوم بكثرة بمدينة فاس، مما يفسر استعمال مصطلح: "مْكْرغل" الذي كان يُطلقه الزيانيون على المولدين من أبناء الأتراك، وذلك لتمييزهم عن الجزائريين الأقحاح، وبحكم التداول والتواتر، ظل هذا المصطلح مستعملا استعمالا معياريا بمدينة فاس إلى الآن.

من خلال ما سبق، يمكن القول أن **"القول"** هو جزء من أجزاء **"الطغراء العثمانية"** التي كانت تمثل **"سيادة"** السلطان العثماني، مما يدل على أن الإيالات الشمال إفريقية - عدا المغرب - كانت تمثل جزءا من سيادة الدولة العثمانية، لارتباط سكانها **"القول أغلية"** أو **(الكراغلة)** بـ: **"قول"** الطغراء العثمانية الذي كان يعد تابعها من خلال صورته وموقعه ضمن أجزائها، تماما كما كانوا هم تابعين للدولة العثمانية، من خلال موقع إيالاتهم (الغربية) من "مركز القرار"؛ استانبول.

بخلاف المغرب الذي كان البلد الوحيد الذي استطاع إيقاف الزحف العثماني، بفضل قوة الدولة السعدية، التي عبرت عن استقلالها وسيادتها من خلال استعمال **"الطغراء المغربية"** التي

كانت متفردة في شكلها ونصوصها عن **"الطغراء العثمانية"**، كتفرد الأزياء السلطانية في المغرب عن نظيرتها في الدولة العثمانية، حيث كان اللباس السلطاني في حد ذاته **"شعارا سلطانيا"** تماما كما هو الأمر بالنسبة للطغراء، وأهم لباس سلطاني (مخزني) تميز به السلاطين المغاربة عبر التاريخ؛ لباس **"القفطان المغربي"**.

**3 - "القفطان المغربي" تجسيد "للطغراء المغربية"، باعتباره لباس السلاطين المغاربة عبر التاريخ. (دراسة مقارنة):**

نستطيع القول ان **"الطغراء المغربية"** كانت تعبر عن **"خصوصية التراث المغربي"** منذ عصر الدولة السعدية، لأن عناصرها تجسد رجالات الديوان السلطاني السعدي حسب وظائفهم، وملابسهم الرسمية التي تمثل ألوانها وكيفية خياطتها وأشكالها شعارا يحيلنا على سيادة الدولة وتقاليدها السلطانية، وأهم "شعار" ملبوس كان يعبر عن "الأزياء السلطانية" في المغرب؛ هو: **"القفطان المغربي"** الذي كان لباسا سلطانيا **"مخزنيا"**، يحيلنا على مفهوم **"السلطة المخزنية"** في المغرب.

وحينما نتحدث عن القفطان، فإننا نتحدث - ضمنيا - عن **"الشعارات"** التي تتميز بها دولة عن دولة، من حيث رمزيتها السياسية؛ التي نجدها حاضرة في كل ما يتعلق بمفهوم الدولة ذات **"السيادة"** من نُظم وثوابت وخصوصيات، كما نجد آثارها في وثائق الدولة ورسومها من خلال رسم "الطغراء" بما تختزنه من أبعاد جمالية وسياسية، بل ونجد آثارها أيضا في أحوال خُدّام الدولة ورجالاتها حسب مراتبهم ووظائفهم التي تحددها - كما جرت بذلك العادة - أزياؤهم الرسمية، وعلى رأس تلك الأزياء؛ نجد **"اللباس الملكي"**[113]، أو**"الزي السلطاني"** الذي كان في حد ذاته **"شعارا"** يجسده السلطان، بدءاً بعمامته أو قلنسوته التي كان يعتمرها، ومرورا بخلعته السلطانية التي كان يلبسها، ثم انتهاء بحذائه أو نعله الذي كان ينتعله، إلى درجة وصفت معها بعض المصادر العثمانية السلطان من خلال لباسه الذي يلبسه من أم رأسه إلى أخمص قدميه، بوصف: **"السلطان الطُّغراء الغرّاء"**[114].

بل إن هذا الوصف (أي وصف السلطان بالطغراء)، قد انتقل إلى المغرب بشكل أو بآخر، وظل مستعملا فيه إلى تاريخنا

[113] - عز الدين العلام، الآداب السلطانية. دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، ص: 124.
[114] - العباسي، منح رب البرية في فتح رودس الأبية، ص: 151.

المعاصر كما تشهد على ذلك بعض الوثائق المغربية المتأخرة التي تنتمي إلى العصر العلوي، ونذكر منها - على وجه الخصوص - رسالة مؤرخة في: يوم الجمعة 2 من ذي القعدة 1355هـ/14 يناير 1937م، بعثها السلطان العلوي محمد الخامس (1346 - 1380هـ/1927 - 1961م) إلى صاحب المملكة التونسية (الحسينية): أحمد باشا باي الثاني (1347 - 1361هـ/1929 - 1942م)، حيث وصفه فيها بـ: **"طغراء العائلة الحسينية"** كناية عن علو شأنه ورفعته، باعتباره رأس هذه العائلة وسيدها وحاكمها - شأنه في ذلك شأن - الطغراء التي تعد رأس الوثيقة وطرّتها، بل وأشرف عناصرها رسما وتجليلا، لاسيما وأنها التوقيع الرسمي للسلطان الذي يرمز إلى نفوذ أمره وسيادته[115].

فضلا عن ذلك؛ يدل هذا التعريف (أي تعريف السلطان بالطغراء)، أن المغاربة كانوا يفرقون بين العلامة المغربية التي ترمز للسيادة المغربية، والطغراء العثمانية التي ترمز للسيادة العثمانية، لذلك فتعريف أمير العائلة الحسينية في تونس

---

[115] - مصدر الرسالة: مجموعة: (Beaussant Lefèvre) - باريس، رقم: 145.

بالطغراء يحيلنا على عهد البايات الذي كانت فيه تونس مجرد إيالة عثمانية تابعة لاستانبول.

وتعريف "السلطان" بـ: "الطغراء"، مرده إلى كونها توقيعه الرسمي الذي يعبر عن سيادته ونفوذ أمره، مما يؤكد صحة الجمع بين الطغراء كرسم، والسيادة كفعل، والسلطان كحاكم. له "شعارات" تعبر عن سيادته التي نجد مظاهرها في أحواله ومأكله وملبسه.

من هذا المنطلق، يمكن القول ان **"القفطان المغربي"** كان تجسيدا **"للطغراء المغربية"** من حيث التّفرد والخصوصية، وحتى نؤصل لتسمية: **"قفطان"** من حيث الدلالة اللغوية والمصطلحية، نشير إلى أنها - في الغالب - تعريب للكلمة الفارسية: **"خفْتان"** (بتسكين الفاء)، وهي الكلمة التي تم استخدامها في القاموس العربي للدلالة على كل **"رداء سابغ كان يُلبس عند الحرب"**[116]، ويُعدّ المسعودي (283 - 346هـ/896 - 957م) أقدم من أورد هذه التسمية في كتابه: **"مروج الذهب و معادن الجوهر"**، ويؤخذ ذلك من خلال

---

[116] - إبراهيم (رجب عبد الجواد)، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، تقديم: محمود فهمي حجازي - راجع المادة المغربية: عبد الهادي التازي، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى: 2002م، ص: 152.

وصفه للخليفة العباسي المعتمد على الله (256 - 279هـ/870 - 892م) الذي كان **"أكثر لباسه خفْتان مصبوغ فاختي"**[117]، واللون **"الفختي"** أو**"الفاختي"**، لون يميل إلى السواد اتخذه العباسيون شعارا لهم، خلافا لأسلافهم الأمويين الذي اتخذوا من البياض شعارهم.

من خلال هذه الإشارة التاريخية التي تحيلنا على الخفتان وألوانه، يمكن القول أن كل دولة كان لسلاطينها قفطان يميزهم عن غيرهم - باعتباره ملبوسا سلطانيا - يختلف في طريقة خياطته وألوانه وطرزه، بل وحتى أزراره من دولة إلى أخرى، ومن بلد إلى آخر.

ولأننا نتحدث عن **"القفطان المغربي"**؛ نشير إلى أن تمييزه بـ: **"المغربي"**، هو حديث عن هذه المميزات التي تميزه عن غيره من القفاطين الأخرى؛ وعلى رأسها: **"القفطان العثماني"**، تماما؛ كتمييز **"الطغراء المغربية"** عن غيرها من الطغراوات الأخرى وعلى رأسها؛ **"الطغراء العثمانية"**.

وقد كان المشارقة ينعتونه بتسمية: **"القفطان المغربي":**

---

117 - المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين)، مروج الذهب و معادن الجوهر، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الأولى: 2005م، ج/4، ص: 164.

(Moroccan caftan) - على غرار الأوربيين - كما نلاحظ ذلك من خلال كتاب تركي تحت عنوان: **"التطور التاريخي لزي القفطان"**:

**HISTORICAL DEVELOPMENT OF THE )** **CAFTAN COSTUME)**، وهو كتاب تم نشره في سنة: 1978م، من تأليف الباحثة العراقية مفيدة عبد النور قصير (ولدت في الموصل سنة: 1355هـ/1936م)، تطرقت فيه لتاريخ تطور القفطان منذ ظهوره إلى أواخر القرن العشرين، وقد أرفقت صورا مختلفة للقفطان المغربي بأنواعه المعروفة؛ كالقفطان الرباطي والتطواني، وقفطان النطع الفاسي، وغيرها من القفاطين التي كانت تنسب لمختلف الجهات المغربية[118].

أما العثمانيون، فقد كانوا ينعتون **"القفطان المغربي"** بتسمية: **"القفطان الفاسي"** ( Fas Kaftanlar / Fas Kaftanı / Fas Kaftanları)، والسر في هذه التسمية - وكما ذكرنا ذلك آنفا - يرجع أولا إلى أن العثمانيين كانوا يسمون المغرب **"دولة فاس"**، كما يرجع أيضا إلى كون القفطان صنع

---

[118] - Kassir (Mufida Abdlnor), Historical Development of the Caftan Constume, Submitted to the Faculty of the Graduate College of the Oklahoma State University in partial fulfillment of the requirements for the Degree of Master of Science May, 1978, p.p. 55 - 61.

لأول مرة بمدينة فاس منذ العصر الموحدي - أي قبل ظهور العثمانيين بأكثر قرن من الزمان - حيث كانت هذه المدينة تضم آنئذ 3064 محلاً لصناعة الحياكة والخياطة حسب شهادة ابن أبي زرع الفاسي (ت.741هـ/1340م) في كتابه: **"الأنيس المطرب بروض القرطاس"**[119].

ومن أقدم الوثائق التي تؤرخ لظهور القفطان في المغرب، وثيقة منمنمة ترجع إلى العصر الموحدي؛ يظهر فيها (الخليفة) الموحدي أبو حفص عمر المرتضى (646 - 665هـ/1248 - 1267م) مرتديا قفطانا أحمر قُرمزيا واسعا مريحا مطرّزا، مفتوح العنق، واسع الأكمام[120].

وهذا معناه أن القفطان كان لباس (الخلفاء) المغاربة، أوبالأحرى **"لباسا خليفيا"**، يجسد رغبة (الخلفاء الموحدين) في

[119] - ابن أبي زرع (علي)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص: 48 - 49.

[120] - Cantiga de Santa Mmaria poeme

صورة لأبي حفص عمر المرتضى الموحدي (646 - 665هـ/1248 - 1267م)، يبدو فيها مرتديا قفطانا قُرمزيا واسعا مريحا مطرّزا، مفتوح العنق، واسع الأكمام

تمييز لباسهم باللون الأحمر - القرمزي عن لباس (الخلفاء العباسيين) الذين كانوا يتشحون بالسواد - الفاختي، وذلك من منطلق المنافسة السياسية حول شرعية حيازة الخلافة. وهذا اللون (أي اللون الأحمر القرمزي)، هو اللون الذي اتخذه الموحدون أيضا - شعارا لهم - في كتابة **"العلامة الموحدية"**، حيث يذكر ابن عذاري المراكشي (ت.695هـ/1296م) في كتابه: **"البيان المغرب"** أنهم اختاروا كتابة العلامة و**"التواقيع بالمداد الأحمر المعروف للخلفاء"**[121]. وعليه يمكن القول أن "العلامة الموحدية" كانت تعبر - على غرار القفطان الأحمر القرمزي - عن: **"مفهوم الخلافة"**، حيث نُعتت بـ: **"العلامة الخليفية"**[122]، لأنها كانت ترمز لنفوذ أمر (الخليفة) الموحدي، و**"تنفذ الأوامر العلية ببركتها"**[123]؛ باعتبارها "توقيعا رسميا" اتخذه الموحدون للتعبير عن (خلافتهم).

وبعد ارتقاء المرينيين إلى سدة الحكم في المغرب خلفا للموحدين، صار القفطان **"لباسا سلطانيا"**، بمجرد أن اتخذه

---

[121] - المراكشي (ابن عذاري)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1985م، ص: 329.

[122] - رسائل موحدية. مجموعة جديدة، تحقيق: أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية - القنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق، رقم: 2، الطبعة الأولى: 1995م، ، ج/1، ص: 38.

[123]- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك)، المن بالإمامة. تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة: 1987م، ص: 225.

السلاطين المرينيون لباسا رسميا خاصا بهم وشعارا يميزهم عن غيرهم.

ومن الأسماء التي عُرف بها القفطان خلال العصر المريني، تسمية: **"الملّوطة"** (بفتح الميم وتشديد اللام وجمعها ملاليط)[124]، وما قلناه عن الخفتان نقوله عن مصطلح الملوطة، الذي استُخدم من حيث دلالة التسمية لا من حيث دلالة الاستعمال، إذ يعتبر من المصطلحات الدخيلة، فالملوطة كلمة يونانية تسربت إلى العربية عن طريق اللغة القبطية، ومعناها: الثوب الواسع، يُلبس فوق سائر الثياب، أوملبوس واسع الأكمام كالقباء[125].

وقد كانت الملُّوطة معروفة منذ العصر العباسي؛ وهي عبارة عن رداء واسع طويل يُصنع من الحرير أو الكتان الرقيق، مثل العباءة، وغالبًا ما تكون غير مزرّرة، كان يلبسها الرجال

[124] - عن الملوطة؛ ينظر:
- الملك المظفر (يوسف بن عمر بن علي بن رسول)، المخترع في فنون من الصنع، دراسة وتحقيق: محمد عيسى صالحية، منشورات مؤسسة الشراع العربي، الكويت، الطبعة الأولى، 1989م، ص: 208. ينظر أيضا:
- دوزي (رينهارت)، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى: 2012م، ص: 365.

[125] - إبراهيم (رجب عبد الجواد)، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، تقديم: محمود فهمي حجازي - راجع المادة المغربية: عبد الهادي التازي، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى: 2002م، ص: 478.

والنساء على حد سواء، غير أن النساء يخترن الألوان البيضاء أو السوداء ذات البطانة[126].

ويشير دوزي إلى أن **"المعنى بكلمة ملوطة هو الجبّة، وكذلك يراد بها اللباس الفوقاني الواسع، الذي كان يُلبس فوق الفرجية"**[127].

أما الباحث الإسباني "بيدرو دي ألكالا" فيشير إلى أن **"كلمة: بلّوط وكلمة: بلّوطة [وهي ثمرة السنديان التي توجد في المغرب بكثرة]، ليستا سوى تحريف لكلمة: ملوطة"**[128].

ومن أقدم الإشارات لهذه التسمية خلال العصر المريني؛ الإشارة التي أوردها ابن مرزوق (710 - 781هـ/1310 - 1379م) في كتابه: **"المسند الصحيح الحسن"** الذي ألفه في مناقب ولي نعمته السلطان أبي الحسن المريني (731 - 749هـ/1331 - 1348م)، حيث أشار إلى أن هذا السلطان كان هو وأسلافه من السلاطين المرينيين يُهْدون لخُدّامهم

---

126 - إبراهيم رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص: 479.

127 - دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ص: 365.

128 - دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ص: 366. انظر أيضا، ص: 80.

**"الملوطة... [التي] كان أصلها ثوبا نسائيا زردخان"**[129]، وكما يظهر من خلال هذا النص فإن الملوطة كانت في الأصل لباسا نسائيا ثم انتقلت إلى الرجال - وإن كانت بعض الروايات تؤكد أن العكس هو الصحيح - وحسب النص المذكور فإنها كانت تُصنع من: **"الزردخان"**. والزردخان هي كلمة مركبة ذات أصل فارسي، معناها: **"زي الملوك"** (الزرد: **"الثوب"**. والخان: **"الملك"**). والظاهر أن هذا النوع من الأثواب كان سائد الاستعمال خلال العصر المريني، بدليل أن ابن بطوطة المغربي الطنجي (703 - 779هـ/1304 - 1377م)، أشار إليه في غير موضع من رحلته الشهيرة، حيث سماه: **"الزردخانة"**[130]، أو **"زردخاني"**[131]، بالتعريف وبغير تعريف.

---

[129] - يقول ابن مرزوق: **"حضرت يوما بين يديه [أي بين يدي السلطان أبي الحسن المريني] الميْز بمشور تلمسان المنصورة، فدُعي باسم رجل من بني عسكر، فلما اجتاز، دعاه وقال: رأيتم هذه الملوطة التي على هذا الرجل، كان أصلها ثوبا نسائيا زردخان، أعطي من دارما في حياة مولانا"**.

- ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص: 125.

[130] - **"..وكسوتهما بالملف وصنعت رسناً مصفحاً بصفائح الفضة وجعلت لهما جلين من زردخانة مبطنين بالكمخا.."**.

- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي)، رحلة ابن بطوطة المسماة: **"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"**، تحقيق: عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة التراث، الرباط، 1997م، ج/2، ص: 403.

**"..وعليه الثياب الفاخرة من الزردخانة وغيرها.."**.

- رحلة ابن بطوطة، ج/2، ص: 530.

[131] - **"..وتبقى على رأسه قلنسوة أخرى من الزردخاني.."**.

- رحلة ابن بطوطة، ج/1، ص: 220.

وقد أكّد - كوباروفياس - أن **"زردخاني تعني نوعاً من الحرير الفاخر من صناعة المغاربة، وهو شبيه بالتفتة (الحرير الرقيق)"**[132]، و**"الزردخان المغربي"**، هو الذي يُسمى في يومنا هذا بـ: **"البروكار الفاسي"**، لأن حياكته كانت - ولا تزال - تتركز في مدينة فاس، ولا يخفى علينا في هذا الشأن أن الزردخان أو البروكار الفاسي المغربي، مشهور بجودته التي تعكس ثقافة وتقاليد المغاربة، إلى درجة عُرف معها "القفطان الفاسي" المصنوع منه بمدينة فاس بـ: **"قفطان البروكار الفاسي"**، وذلك لتمييزه عن القفاطين الأخرى التي كانت تُصنع في المدن المغربية الأخرى كـ: "القفطان الرباطي" نسبة إلى مدينة الرباط، و"القفطان السلاوي" نسبة إلى مدينة سلا، وهكذا...

ويشير عبد الهادي التازي إلى أن **"الزردخان"** شبيه بـ: **"المُلفّ"**، وهو أملس، ومنه نوع يُتّخذ من القطن، إلا أن الزردخان يأتي في المرتبة الثانية بعد الملف[133].

---

[132] - دوزي (رينهارت)، تكملة المعاجم العربية، تحقيق: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى: من 1979 إلى 2000م، ج/5، ص: 303.

[133] - إبراهيم رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص: 207.

و**"المْلفّ"** (أو المْلِيفّة) هو نوع من الأثواب الفاسية الفاخرة التي كانت - ولاتزال - تُنسج في مدينة فاس، وقد أشار ابن بطوطة (703 - 779هـ/1304 - 1377م)، إليها في غير موضع من رحلته الشهيرة[134]. حيث تستعمل في خياطة القفاطين الفاسية منذ العصر المريني بدليل ما ورد في كتاب: **"بيوتات فاس الكبرى"** لأبي الوليد إسماعيل بن الأحمر (725 - 807هـ/1325 - 1405م)، الذي أشار إلى أن **"من أسلم من اليهود [بمدينة فاس].. احترف بخياطة الملف والثياب، وضفر القيطان الذي يُخاط مع الثياب ونسج العقد"**[135]، ومعلوم أن **"ضفر القيطان"** وغزله بالمغزل اليدوي[136]، فضلا عن نسج العقد أو**"العْقاد"** التي تقوم مقام الأزرار؛ تدخل في تطريز (المْلْفّ) الذي يُصنع منه القفطان، وخاصة فيما يتعلق بـما يسمى بـ: **"السفيفة"**، وهي الأشرطة المطرّزة، وكذا **"طرْز**

---

134 - رحلة ابن بطوطة، ج/2، ص: 191، وص: 258. ج/3، ص: 166. ج/4، ص: 9، و ص: 262.

135 - بيوتات فاس الكبرى، شارك في تأليفه: إسماعيل بن الأحمر، دار المنصور للطباعة، الرباط، طبعة: 1972م، ص: 24.

136 - كنت أشاهد - إلى عهد قريب - وتحديدا في طفولتي كيفية **"ضفر القيطان"** وغزله بالمغزل اليدوي بمسقط رأسي؛ مدينة فاس، ومدينة مكناس التي قضيت فيها سنوات من عمري، وذلك قبل استبداله بالمغازل الآلية.

وقد كان القيطان يستعمل فيما يعرف بـ: **"الزركش القيطاني"** المستخدم بدوره في إنتاج الأحزمة المفتولة المعروفة بـ: **"المجدول"**؛ بواسطة خيوط الريوان والدباقة. إضافة إلى زنانير المحافظ الرجالية أو الخناجر وأرباط الستائر والشربات الصغيرة التي تستعمل في صناعة السبحات وأزرار الملابس التقليدية وحلي الختان، وهو مصنوع من عدة خيوط مضفورة والأهداب والشراريب التي توضع على جوانب الستائر والمخدات، والقنزعة وغيرها مما يزين به الأثاث.

**البْرْشمان"** اليدوي الذي يُزيّنُ بها القفطان، حيث يتميز به اللباس المغربي عن غيره، بما في ذلك الجلباب المغربي (الجلاّبة). والقيطان - الذي لا يزال يسمى بهذه التسمية إلى اليوم - هو خيط مضفور كان يتم غزله بمغزل يدوي لضفر خيوط دقيقة كانت - ولا تزال - تُسمى بـ: **"الصّابْرة"**، وهي خيوط حريرية متنوعة الألوان.

وقد أضاف المرينيون إلى القفطان حزاما يحاط به الخصر لضمّ القفطان إلى الجسم، وخاصة في المعارك والحروب، وذلك حتى لا تعوق أطرافه وتلابيبه حركاتهم أثناء الفرّ والكرّ، ولذلك سمي هذا الحزام عند المغاربة بـ: **"المْضَمَّة"**، وقد كانت إحاطة الخصر بالمضمة متلازمة مع التقلد بالسيف، وأقدم إشارة لهذا التلازم خلال العصر المريني؛ هي تلك الإشارة التي أوردها ابن الحاج النميري (ولد سنة: 713هـ/1313م) في كتابه: **"فيض العباب"**، وصف من خلالها ولي نعمته أبي عنان المريني (749 - 759هـ/1348 - 1358م)، بقوله: **"ولم يرع الناس وقد رفعوا العيون، واجتمعوا كما يتمنى مخبر أن يكون إلا خروج مولانا أيّده الله وقد لبس ملوطة بيضاء بالعمل الشواشي.. ولبس فوقها مصفحاً ملوكياً عظم قدراً، وأشبه**

**الروض المزهر فاتّخذ المضمة الشريفة نهراً، وتقلد السيف الكريم الذي نسميه حساما، وتسميه الحروب نصراً"**[137].

ومعلوم أن اللباس الوحيد الذي كان يضاف له المضمة منذ العصر المريني إلى اليوم هو القفطان دون غيره، مما يؤكد أن الملوطة هي القفطان بعينه وإن اختلفت تسميته في المصادر المرينية، وما يؤكد ذلك؛ هو أن النساء المغربيات لايزلن يلبسن القفطان بالمضمة إلى اليوم في الأعياد والأعراس والمناسبات، وقد كان القفطان المريني أبيض اللون على اعتبار أن المرينين اتخذوا البياض شعارا لهم[138]، ومن مظاهر انتقال القفطان إلى إسبانيا، تأثر الإسبان بلباس الملوطة إلى درجة استعملوا معها تسميتها في قواميسهم اللغوية بعد تحريفها إلى كلمة: **"مرلوطة" (Marlota)**[139].

---

[137] - النميري، فيض العباب، ص: 305.

[138] - كان اللون الأبيض شعارا للدولة المرينية، حيث استعملوه في الرايات، ولباس الحفلات الرسمية، وأخبية الجيش والسلطان، مخالفين بذلك جيرانهم المسيحيين الذين كانوا يؤثرون السواد. ينظر:

- مقر (محمد)، اللباس المغربي في بداية الدولة المرينية إلى العصر السعدي، منشورات وزارة الأوقاف، دار أبي رقرار للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2006م، ص: 201.

عندما وصف ابن الحاج النميري (ولد سنة: 713هـ/1313م) في كتابه: **"فيض العباب"**، ولي نعمته أبي عنان المريني (749 - 759هـ/1348 - 1358م)، ذكر أنه كان يلبس في المعرك: **"ملوطة بيضاء بالعمل الشواشي.. "**.

- النميري، فيض العباب، ص: 305.

[139] - دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ص: 367.

والواقع أن المؤرخين الإسبان القدماء يصورون لنا الفرسان والسيدات المغاربة مرتدين الملاليط في معظم الأحيان. كما يتحدثون عن ملوطة من المخمل فاخرة مطرزة بالذهب كان يرتديها فارس مغربي، وملوطة من الدمقس، كانت ترتديها سيدة مغربية[140].

وقد ذكر دوزي أن ملكة غرناطة كانت تلبس: **"ملوطة خز ثلاثية الطبقات"**[141]، لكن وبعد توحيد الدولة الإسبانية بزواج الملكين الكاثوليكيين؛ فردناند الثاني ملك أراكونة، وإيزابيلا ملكة قشتالة، في سنة: 873هـ/1469م، تم تأسيس **"محاكم التفتيش الإسبانية"** في سنة: 883هـ/1478م بمباركة البابا سيكستوس الرابع[142]، وهي المحاكم التي كان من أبرز أهدافها؛ تصفية واستئصال الوجود الإسلامي بالأندلس، وكل المظاهر الإسلامية المتعلقة به على يد أتباع الكنيسة الكاثوليكية. فأسفر ذلك عن سقوط إمارة بني الأحمر (بنو نصر) بغرناطة في سنة:

---

140 - دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ص: 366.

141 - دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ص: 366.

142 - ينظر:

- طه (عبد الواحد ذنون)، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، دار المدار الإسلامي، ليبيا، طرابلس، الطبعة الأولى: 2004م، ص: 35 - 36. وأيضا ص: 41. وص: 50 - 51.

897هـ/1492م، لتكون بذلك آخر معقل للمسلمين بالأندلس يتزامن سقوطه مع بداية الدولة الوطاسية في المغرب.

وبعد سقوط غرناطة، قام الملك فردناند الثاني في سنة: 914هـ/1508م بإصدار مرسوم يحظر فيه على الأندلسيين استخدام اللغة العربية، وارتداء الملابس العربية، وممارسة أية عادات أو طقوس إسلامية أو عربية[143]، وفي سنة: 932هـ/1525م، أصدر حفيده وحفيد إيزابيلا من ابنتهما الوحيدة خوانا تراستامارا الملقبة بـ: (المجنونة): الملك الإسباني شارلكان أو (كارل الخامس هابسبورغ) مرسوماً يشبه مرسوم جده من حيث منع ارتداء الملابس العربية[144]، وعندما تولى ابنه الملك فيليب الثاني الحكم، قام بمنع **"الموريسكيين"**[145]؛ من حمل السلاح من خلال إصداره لمرسوم سنة: 971هـ/1563م، وأعاد العمل بمرسوم أبيه الصادر في سنة: 932هـ/1525م، والذي كان يمنعهم من ارتداء الملابس الإسلامية[146]. بل إن الملك فيليب الثاني - الذين كان متعصبا - قام بتحريم لبس

---

143 - طه عبد الواحد، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ص: 36.
144 - طه عبد الواحد، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ص: 41.
145 - عن **"الموريسكيين"**؛ ينظر:
- طه عبد الواحد، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ص: 15 - 16.
146 - طه عبد الواحد، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ص: 50 - 51.

الملوطة على النساء في إسبانيا[147]. ومرد ذلك التحريم يُعزى إلى الدلالة الدينية والسياسية لهذا الزي السلطاني، لتنفرد النساء المغربيات بارتداء الملوطة النسائية. خاصة وأن ملوك بني الأحمر (بنو نصر) كانوا يقلدون المرينين في تقاليدهم ولباسهم المخزني حسب ماذكره مارمول كربخال (926 - 1009هـ/1520 - 1600م) في كتابه: **"وقائع ثورة الموريسكيين"**، حيث يقول: **"ولطالما قلد ملوك غرناطة نظراءهم من ملوك فاس [يقصد المرينيين]، فأضحت المدن محل الوصف و أجواءها ومبانيها و حكامها وكل ما هو دون ذلك على قدر كبير من التشابه"**[148].

بل وأشار مارمول أن أمراء غرناطة قلدوا حتى **"فاس الجديد"** الذي بناه المرينيون خارج أسوار المدينة القديمة التي أضحت تسمى: **"فاس البالي"**. **يقول مارمول: ".. ماحملهم [ملوك غرناطة] على جعل بداية ذلك الحصن ونهايته خارج أسوار المدينة وعلى مقربة منها، اقتداء بملوك فاس الذين أقاموا حصنا آخر للغرض ذاته قبل سنين قليلة، حيث تركوا**

147 - دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ص: 366.

148 - كربخال (مارمول)، وقائع ثورة الموريسكيين، ترجمة: وسام محمد جزر، مراجعة وتقديم: جمال عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى: 2012م، ج/1، ص: 60.

**وراءهم ما يملكونه من قصور قصبة فاس القديمة [فاس البالي] ليشيدوا حصن فاس الجديد الذي لقبوه بالبيضاء، وعاشوا فيه أكثر أمنا في منازلهم مع ذويهم"**[149].

ولا شك أن حديث مارمول كربخال عن فاس الجديد الذي وضع حجر أساسه أول سلاطين بني مرين: أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق (647 - 685هـ/1249 - 1286م)، في 3 شوال 674هـ/21 مارس1276م[150]، والذي قلد بناءه بنو الأحمر النصريين بغرناطة، هو إشارة ضمنية إلى "التقاليد المخزنية" التي ارتبطت بفاس الجديد، وعلى رأس ذلك؛ "اللباس المخزني" الذي اتخذه المرينيون في هذه "المدينة المخزنية"، وأبرز لباس مخزني سلطاني هو الملوطة والقفطان.

والجدير بالذكر أن أقدم إشارة لتسمية القفطان، أوردها ابن بطوطة (703 - 779هـ/1304 - 1377م) في رحلته المسماة: **"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"**، وهي الرحلة التي انطلقت في عهد خامس سلاطين بني مرين؛ أبي سعيد عثمان (710 - 731هـ/1310 - 1331م)، وتحديدا في سنة: 725هـ/1325م، وقد استعمل ابن جزي الذي عيّنه

---

[149] - كربخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج/1، ص: 60.

[150] - ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، ص: 19 - 20.

أبو عنان المريني (749 - 759هـ/1348 - 1358م) لتدوين الرحلة من إملاء ابن بطوطة تسمية: **"القفطان"** بلسان المغاربة خلال العصر المريني لتعريف **"الجبة البيضاء"** التي ذكرها ابن بطوطة في معرض حديثه عن أحد الصلحاء بمكة والذي قال عنه: **"...وكنت أراه حين ذلك لابساً جبة بيضاء قصيرة من ثياب القطن؛ المدعوة بالقفطان"**[151]. فلا شك أن استعمال جملة: **"المدعوة بالقفطان"** هي بِلُغة ابن جزي بصفته كاتب الإنشاء في البلاط المريني. ولأن الكتاب كان موجها للسلطة الحاكمة في المغرب، فقد استُعملت فيه التعريفات السلطانية المعروفة آنئذ في البلاط المريني بأسمائها ومُسمّياتها وصفاتها السلطانية.

وقد كان **"القفطان"** يُعرف أيضا خلال هذا العصر في بعض النسخ المخطوطة بـ: **"الفشطان"**[152]، وفي تعريفه للفشطان ذهب بوسييه - حسب ما أورده دوزي - إلى **"انه**

---

[151] - رحلة ابن بطوطة:
* طبعة مطبعة وادي النيل، القاهرة، الطبعة الأولى: 1870م، ج/1، ص: 88.
* طبعة المطبعة الخيرية، لمالكها السيد عمر حسين الخشاب، مصر، الطبعة الأولى، 1904م، ج/1، ص: 109
* طبعة دار الشرق العربي، ج/1، ص: 115.
* طبعة دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 1987م، تقديم: محمد عبد المنعم العريان، مراجعة: مصطفى القصاص، ج/1، ص: 164

[152] - رحلة ابن بطوطة، ج/1، ص: 389.

**نسيج (قماش) مطرز يلبسه المغاربة فوق السراويل عند خروجهم"**[153]. وربما تكون كلمة: **"فشطان"** أو **(فسطان)** بلسان المغاربة - حسب تقديري الخاص - مجرد تحريف للكلمة العربية: **"فستان"** على اعتبار أن التاء هي ثلث الطاء في النطق العربي، وهذا معروف حتى في مخارج الحروف المرتبطة بقواعد تجويد القرآن الكريم.

وإثر حديثنا عن المرينيين، لا بد أن نشير إلى أن أواخر عصر دولتهم قد تزامن مع صعود العثمانيين في المشرق، حيث لم تظهر الدولة العثمانية إلا في حدود سنة: 699هـ/1299م على يد مؤسسها عثمان بن أُرطغرل (699 - 726هـ/1300 - 1326م) الذي يتزامن جزء من عهده مع عهد خامس سلاطين بني مرين: أبو سعيد عثمان (710 - 731هـ/1310 - 1331م)، في وقت كانت فيه الدولة العثمانية لا تزال فتية تبحث عن توطيد أركانها لمواجهة التحديات الخارجية في المشرق.

---

153 - دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج/8، ص: 75.

ويسجل لنا التاريخ أن أول اتصال دبلوماسي بين المرينيين والعثمانيين يرجع إلى سنة: 793هـ/1391م[154]، وتحديدا إلى عهد السلطان المريني أبي العباس أحمد المستنصر ابن أبي سالم إبراهيم (ت.796هـ/1393م) الملقب بذي الدولتين، الذي حكم لفترتين مختلفتين تمتدان بين سنتي: (776 - 786هـ/1374 - 1384م) وأيضا؛ سنتي: (789 - 796هـ/1387 - 1393م).

وحتى نضع القفطان المغربي - الذي سيرسله المرينيون ضمن الهدايا التي بعثوها إلى العثمانيين - ضمن سياقه التاريخي؛ نشير إلى أن المرينيين استطاعوا بتدخلاتهم العسكرية - قبل ظهور العثمانيين - تأخير كارثة سقوط الأندلس بنحو قرنين من الزمن[155]. لكن هزيمة طريف في: 7 جمادى الثانية 741هـ/28 نونبر 1340م، خلال عهد السلطان أبي الحسن المريني (731 - 749هـ/1331 - 1348م)، أجهضت كل أحلام المرينيين في استرجاع السيادة المغربية على الفردوس المفقود، خاصة بعد تواطؤ كل من بني الأحمر (بنو نصر) حكام

---

[154] - التازي (عبد الهادي)، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ج/7، ص: 229.

[155] - المنوني (محمد)، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية: 1996م، ص: 19.

- المنوني (محمد)، تعريف بالدولة المرينية، مجلة دعوة الحق، العدد الثالث، السنة الثامنة، 1965م، ص: 83.

غرناطة[156]، الذين تدخل المرينيون لحمايتهم من الخطر المسيحي، وبني زيان حكام المغرب الأوسط (الجزائر) مع القشتاليين لقطع الطريق على المرينيين لاسترجاع الأندلس[157]. وقد كانت هذه المعركة فاصلة - ليس في تاريخ المغرب فحسب - بل حتى في تاريخ دول الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وذلك لأنها غيرت "ميزان القوى" بين الشمال والجنوب، حيث انتقل "مركز الثقل" إلى الإيبيريين، لاسيما وأنها كانت آخر معركة يشارك فيها المغاربة بشكل رسمي ومباشر في الأندلس، حتى قال عنها أحمد المقري (986 - 1041هـ/1578 - 1631م) في كتابه: **"نفح الطيب"**: **"واشرأبّ العدو الكافر لأخذ ما بقي من الجزيرة ذات الظل الوريف، وثبتت قدمه إذ ذاك في بلد طريف، وبالجملة فهذه**

---

[156] - عن محاولات المرينيين لاسترجاع الأندلس؛ ينظر:
- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، صص: 380 - 381. ينظر أيضا:
- ابن خلدون، كتاب العبر، ج/7، صص: 262 - 270.

[157] - يقول ابن خلدون: **"واتصلت يد ابن الأحمر بيد الطاغية على منع أمير المسلمين من الإجازة، وراسلوا يغمراسن بن زيّان من وراء البحر، وراسلهم في مُشاقّة السلطان وإفساد ثغوره وإنزال العوائق به المانعة من حركته، والأخذ بأذياله عن النهوض إلى الجهاد.. وأصفقت أيديهم جميعا على السلطان، ورأوا أن قد بلغوا في إحكام أمرهم وسدّ مذاهبه إليهم"**.
- ابن خلدون، كتاب العبر، ج/7، ص: 266 -267.

**الواقعة من الدواهي المعضلة الداء، والأرزاء التي تضعضع لها ركن الدين بالمغرب، وقرّت بذلك عيون الأعداء"**[158].

وتجدر الإشارة إلى أن من أبرز تجليات هذه الهزيمة؛ سقوط مدينة سبتة المغربية لاحقا في يد البرتغاليين سنة: 818هـ/1415م، والتي يُعدّ سقوطها - حسب بعض المؤرخين - الحدث الأنسب لبداية التحول من العصر الوسيط إلى العصر الحديث، عوض تاريخ سقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين سنة: 857هـ/1453م[159].

ومعلوم أن سقوط سبتة كان في عهد السلطان المريني أبي سعيد عثمان الثاني (800 - 823هـ/1398 - 1420م) الذي سيُقتل غيلة سنة: 823هـ/1420م، مما سيسرّع بسقوط الدولة المرينية، لاسيما بعد انتقال الحكم إلى ابنه أبي محمد عبد الحق الثاني (823 - 869هـ/1420- 1465م)، وهو آخر سلاطين الدولة المرينية، الذي تزامن عهده مع فتح العثمانيين لمدينة القسطنطينية (استانبول لاحقا) سنة: 857هـ/1453م على يد محمد الثاني (الفاتح).(855 - 886هـ/1451 - 1481م)،

---

158 - المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى: 1997م، ج/5، ص: 15.

159 - الفاسي (محمد)، احتلال البرتغاليين للثغور المغربية، مجلة دعوة الحق (عدد خاص بمناسبة الذكرى الأربعمائة لمعركة وادي المخازن)، السنة: 19، العدد: 8، غشت: 1978م، ص: 22.

حيث هنّأ السلطان المريني السلطان العثماني بالفتح، ليكون بذلك هذا السلطان المريني هو: **"فاتح علاقات المغرب مع الدولة التركية العثمانية"** على حد تعبير المنوني[160].

ولتأكيد تضامنه المطلق مع محمد الفاتح في مواجهة المد المسيحي - من منطلق ما كانت تمليه عليه عقيدته الإسلامية - أرسل السلطان المريني عدة هدايا للسلطان العثماني[161]. وفي هذا الشأن نشير إلى أن **"الخلع السلطانية"** كانت من بين الهدايا التي يرسلها السلاطين لنظرائهم أو عُمّالهم، باعتبارها من **"التقاليد السلطانية"** التي ترمز إلى توثيق المودة و ترسيخ المحبة بين النظراء، أو التعيين والتنصيب بين السلاطين وعُمّالهم.

ولأن "القفطان المغربي" كان هو "الخلعة السلطانية" الخاصة بالمرينيين بوصفه لباسا رسميا للسلاطين المرينيين وشعارا سلطانيا لسيادتهم، فقد أرسله السلطان المريني إلى السلطان العثماني عُربونا للمودة والمحبة، وهو التقليد الذي سيصبح مأثورا عند السلاطين العثمانيين، الذين دأبوا على

---

160 - المنوني، علاقات المغرب بالشرق في العصر المريني الثاني، ص: 99.

161 - عن الهدايا التي كان يرسلها المرينيون إلى العثمانيين؛ ينظر:

- التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ج/7، ص: 229.

إرسال **"خلعهم السلطانية"**، و**"قفاطينهم"**، التي كانت تُنعت - حسب تسميتها الرسمية عند العثمانيين بـ: **"البندالي" (Bindalli)**[162] - إلى نظرائهم من السلاطين في إطار علاقاتهم الدبلوماسية، أو إلى عُمّالهم في إطار علاقاتهم الإدارية.

وعليه، يمكن القول أن إرسال القفطان المغربي إلى السلطان العثماني كان يكتسي دلالة رمزية سياسية، ترمز إلى ظهور العثمانيين بصورة المدافع عن حوزة الإسلام والمسلمين، بسبب وقوفهم في وجه المد المسيحي بعد السيطرة على القسطنطينية، ولعل هذا الأمر هو ما سيعطي العثمانيين شرعية تملك العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه، خاصة بعد سقوط الدولة المرينية

---

[162] - القفطان العثماني يسمى: **"البندالي" (Bindalli)**، ومعناه: **"الثوب الذي له ألف فرع"**، للتأكيد على تميز الثوب بالكثير من التفاصيل والتطريز المنتشر في الثوب على شكل فروع متنوعة.وقد أصبح البندالي اللباس التقليدي للنساء في تركيا، إضافة إلى **"السالفار" (Salvar)** وهو عبارة عن سروال فضفاض يصل طوله إلى الكاحل. وهو شبيه بما كان يسمى قديماً سراويل الحريم. ويلبس السالفار مع قميص يسمى: **"جومليك" (Gomlek)**، وسترة صوفية تسمى: **"هيركا" (Hirka)**.

في المغرب سنة: 869هـ/1465م[163]، ثم سقوط الأندلس في أيدي الإسبان بصفة نهائية بعد القضاء على إمارة بني الأحمر (أو بنو نصر) بغرناطة سنة: 897هـ/1492م.

وبعد سقوط غرناطة انتقل أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر لاجئا إلى المغرب، فاستقر بمدينة فاس هو وأهله وأولاده، بعدما أرسل رسالة مؤثرة إلى محمد الشيخ الوطاسي (875 - 910هـ/1470 - 1504م) على لسان وزيره وكاتبه، محمد بن عبد الله العربي العقيلي، عنوانها: **"الروض العاطر الأنفاس في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس"**[164]، وظل أبو عبد الله الصغير بفاس إلى أن توفي بها سنة: 940هـ/1534م. وقد نقل إلينا أحمد المقري (986 -

---

[163] - يُعدّ كتاب: **"نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام"** لابن السكاك المكناسي (ت. 818هـ/1415م)، من أبرز الكتب التي كان لها أثر بالغ في تعزيز النفوذ السياسي لآل البيت في تلك الفترة الأخيرة من دولة بني مرين. ينظر مخطوط:
- ابن السكاك (محمد بن أبي غالب بن أحمد)، نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود - الدار البيضاء، رقم: 2/118، عدد الصفحات: 26.
ينظر أيضا:
- الكتاني (محمد بن جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، نشر دار الثقافة بالدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 2004. ج/2، ص: 160 - 161.

[164] - ينظر:
- المقري:
* نفح الطيب، ج/4، صص: 529 - 535.
* أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا - إبراهيم الأبياري - عبد الحفيظ شلبي، منشورات المعهد الخليفي للأبحاث المغربية (بيت المغرب)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، طبعة: 1939م، ج/1، صص: 72 - 83.

1041هـ/1578 - 1631م) في كتابه: **"نفح الطيب"**، وكذلك في: **"أزهار الرياض"** قصيدة طويلة وردت في الرسالة المذكورة من نظم هذا الوزير تتضمن الاستجارة والاستنجاد بمحمد الشيخ الوطاسي، ومطلعها[165]:

**مولى الملوك ملوك العرب والعجم رعيا لما مثله يرعى من الذمم**

**بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن جار الزمان عليه جور منتقم**

ولا شك أن إجارة الملوك للملوك ينم التعبير عنه بمنح الخلعة السلطانية التي لم تكن إلا قفطانا منحه السلطان الوطاسي للسلطان النصري المستجير به بعد سقوط غرناطة وفراره بجلده.

من خلال ماسبق، يمكن القول ان ترسيم القفطان - منذ العصر المريني - لباسا رسميا للسلاطين وشعارا لسيادتهم وتميّزهم؛ هو ما سيفضي إلى الاهتمام بصناعته خلال العصر الوطاسي حسب ما ذكره الحسن الوزان (ت. نحو 957هـ/1550م)، الذي أشار في كتابه: **"وصف إفريقيا"** إلى أنه كان يوجد - على سبيل المثال - بمدينة فاس خلال هذا

---

[165] - انظر:
- المقري:
* نفح الطيب، ج/4، صص: 529 - 535.
* أزهار الرياض، ج/1، صص: 72 - 83.

العصر؛ 520 دارا للنساجين يعمل بها 20 ألف عامل **"وهي أبنية كبيرة ذات طبقات عديدة، وقاعات فسيحة كقاعات القصور"**[166]. ورغم أن بعض مراكز صناعة النسيج، كانت معروفة بجودة نسيجها في المشرق، وخاصة المراكز التابعة للدولة العثمانية التي استفادت من خبرة الفنانين الإيرانيين حتى أضحى الديباج التركي من أبدع ما أخرجته مصانع النسيج في العالم الإسلامي، إلا أنها لم تكن لتضاهي مدينة فاس في هذا المجال كما أشار إلى ذلك بعض الباحثين"[167].

وإذا كان القفطان المغربي في بداية الأمر **"لباسا ذكوريا"** لبسه (الخلفاء) والسلاطين المغاربة كما تدل على ذلك الإشارات السابقة، فإن هذا الأمر لم يمنع من انتقاله إلى النساء خلال

---

[166] - أشار الحسن الوزان إلى أنه في العصر الوطاسي كان: **"يوجد بفاس خمسمائة وعشرون دارا للنّساجين، وهي أبنية كبيرة ذات طبقات عديدة، وقاعات فسيحة كقاعات القصور، تضم كل قاعة عددا كثيرا من عُمّال نسج الكتان.. هذه هي الصناعة الرئيسية بفاس، يقال أنها تكفل العمل لعشرين ألف عامل.. وهناك أيضا مائة وخمسون معملا لقصاري الخيوط، يقوم معظمها بجوار النهر، وتحتوي على عدد كثير من المراجل والجفان المبنية لغلي الخيط ولأغراض عرضية أخرى"**.

- الوزان (الحسن بن محمد الفاسي) المعروف بليون الافريقي، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي - محمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية: 1983م، ج/1، ص: 246 - 247.

[167] - محمد مقر، اللباس المغربي في بداية الدولة المرينية إلى العصر السعدي، ص:88 - 89.

- الإدريسي (الحسين)، الخصائص الثقافية والحضارية للملابس المغربية، مجلة الثقافة الشعبية، العدد: 8، شتاء 2010م، ص: 156.

العصر الوطاسي[168]، إلى درجة أصبح معها - في مراحل لاحقة - لصيقا بالنساء أكثر من الرجال.

وفي العصر السعدي أصبح القفطان لباسا سلطانيا **"مخزنيا"**، ذا **"خصوصية مغربية"**، وتحديدا خلال عهد السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م)، الذي نُسب إليه بعدما أضاف له قطعة أخرى فوقية، فأضحى يسمى باللباس (المنصوري) أو(المنصورية) حسب صاحب **"المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور"**. يقول ابن القاضي (960 - 1025هـ/1553 - 1616م): **"..والمنصورية لباس لم يكن في المغرب قبل، أبدعه - أيده الله - بحدسه، وأخرجه إلى**

[168] - ذكر الحسن الوزان في العصر الوطاسي أن **"لباس النساء [في مدينة فاس] جميل جدا، إلا أنهن لا يرتدين في أيام الحر سوى قميص يحزمنه بنطاق لا يخلو من قبح، ويلبسن في الشتاء ثيابا عريضة الأكمام ومخيطة من أمام كثياب الرجال"**.
- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج/1، ص: 252.

**الوجود بكيسه، ولذلك نُسبت له"**[169]. والمنصورية هي ما يعرف اليوم بـ: (التكشيطة) عند النساء.

بل إن القفطان أصبح من الخلع السلطانية التي يرتديها خدام الدولة السعدية باعتباره لباسا سلطانيا مخزنيا يعبر عن رجال المخزن السعدي، ويُستنتج ذلك - على سبيل المثال لا الحصر- من خلال كتاب: **"ديوان قبائل سوس في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي"** لمؤلفه إبراهيم بن علي الحساني، الذي انتهى منه بأمر من أحمد المنصور الذهبي في فاتح ربيع الأول 988هـ/16 أبريل 1580م[170].

إذ يذكر أنه وعند اشتباك جيش السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي مع بعض قبائل السوس المتمردة، كان يميز بين الفريقين من خلال لباسهم، حيث كان رجال المخزن السعدي يلبسون القفطان، بينما كان المتمردون يلبسون القمصان الصوفية بدليل قوله: **"فقامت محلته المؤيدة بالله [يقصد محلة**

---

[169] - ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي)، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، دراسة وتحقيق: محمد رزوق، مكتبة المعارف، الرباط، 1986م، ج/2، ص: 627. ينظر أيضا:

- الإفراني (محمد الصغير)، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 1998م، ص: 225 - 226.

[170] - الحساني (إبراهيم بن علي)، ديوان قبائل سوس في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، تحقيق: عمر أفا، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1989م، ص: 26.

**أحمد المنصور الذهبي]، وطلعت من باب الكوض الذي سدوه بالسدود، ونزلت من أعلاه ونحن دائرون بهم كالحلقة، ثم وقعت فتنة عظيمة بيننا وبين البرابر من طلوع الشمس إلى غروبها، وطلعوا لنا جبلا عظيما وهو جبل أغشتيم، وقد نظرت من أعلاه: فرَبّ قميص الصوف، ورَبّ القفطان، تكمشا فيه وتشابكا من أعلاه إلى أسفله، ويجري الدم كالماء، ولم يعلم أحد عدد من مات فيه إلا الله تعالى"[171].**

[171] - الحساني، ديوان قبائل سوس في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، ص: 13- 14.

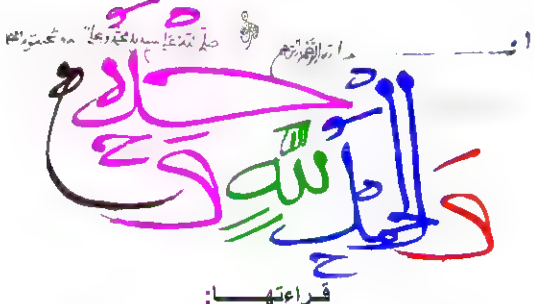


مستخرج من رسالة لأبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي
مورخة في: 1رمضان 582هـ/15 نونبر1186م.



مستخرج من رسالة بعث بها المرتضى الموحدي
للبابا إينوصانت الرابع سنة: 648هـ/1250م.

تشريحهـــــا:



قـــراءتهـــا:

بســـــــم الله الرحمن الرحيم     صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

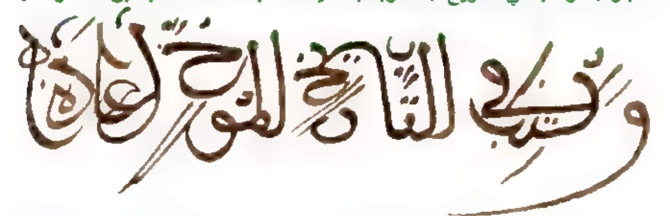
والحمــــــــد لله وحـــــــــده

= هـــاء ترمز الى كلمـة: "انتهـــى". أي: انتهى معنى النص.
وكان حرف الهاء يستعمل بهذا الشكل عند المغاربة للفصل بين الفقرات
حيث يقوم مقام النقطة التي نستعملها اليوم ضمن علامات الترقيم

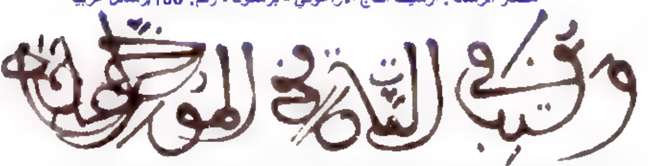
شكل: 1



توقيعان استخرجناهما من رسالتين لأبي عنان المريني (749 - 759هـ/1348 - 1358م)،
إلى بيدرو الرابع ملك أراغونة. مؤرختان في: 751هـ/1350م
مصدر الرسالتين: أرشيف التاج الأراغوني - برشلونة، رقم: 102 - 104/رسائل عربية
عبارة: "وكتب في التاريخ". مكتوبة بخط يد صاحب العلامة حسب ابن الأحمر[172].



توقيع استخرجناه من رسالة لأبي عنان المريني (749 - 759هـ/1348 - 1358م)،
إلى بيدرو الرابع ملك أراغونة، مؤرخة في: 751هـ/1350م
مصدر الرسالة: أرشيف التاج الأراغوني - برشلونة، رقم: 106/رسائل عربية



توقيع استخرجناه من اتفاقية بين أبي عنان فارس وجمهورية بيزة بالنص العربي
وترجمتها باللغة الإيطالية، مورخة في: 28 ربيع الثاني 759هـ/9ابريل1358م.
يظهرعليها توقيعه بخط يده: "وكتب في التاريخ المؤرخ أعلاه"
مصدر الرسالة: ارشيف مدينة بيزا الإيطالية
عبارة: "وكتب في التاريخ المؤرخ أعلاه". مكتوبة بخط
السلطان أبي عنان حسب ابن الأحمر[173].
شكل: 2

[172] - ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 21.
[173] - ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 21.



علامة استخرجناها من رسالة لأبي عنان المريني (749 - 759هـ/1348 - 1358م)،
إلى بيدرو الرابع ملك اراغونة، مؤرخة في: 751هـ/1350م
مصدر الرسالة: أرشيف التاج الاراغوني - برشلونة، رقم: 106/رسائل عربية

**تشريحها:**

**قراءتها:**

**وكتب في التاريخ المؤرخ أعلاه**

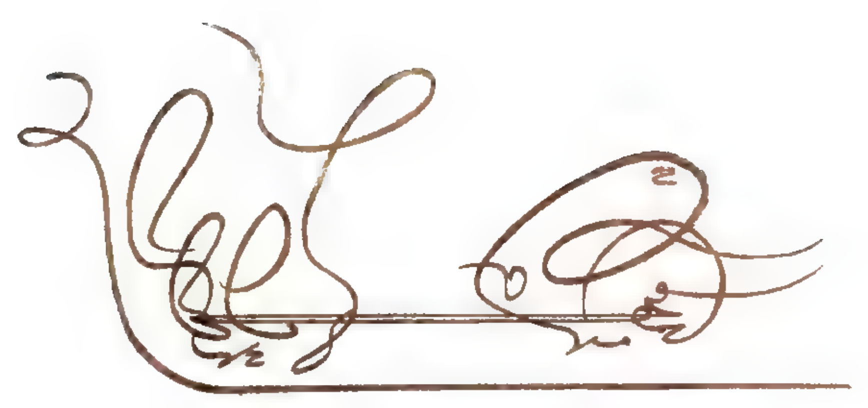
هاء ترمز إلى كلمة: "انتهى". أي: انتهى معنى النص.
= وكان حرف الهاء يستعمل بهذا الشكل عند المغاربة للفصل بين الفقرات
حيث يقوم مقام النقطة التي نستعملها اليوم ضمن علامات الترقيم

شكل: 3




التوقيع الطغراني لرابع سلاطين الوطاسيين: أبو العباس أحمد بن محمد الوطاسي (932 - 952هـ/1526 - 1545م)، استخرجناه من رسالة أرسلها في: 13 ذو الحجة 947هـ/10 أبريل 1541م إلى "مجلس السيادة" الإسباني

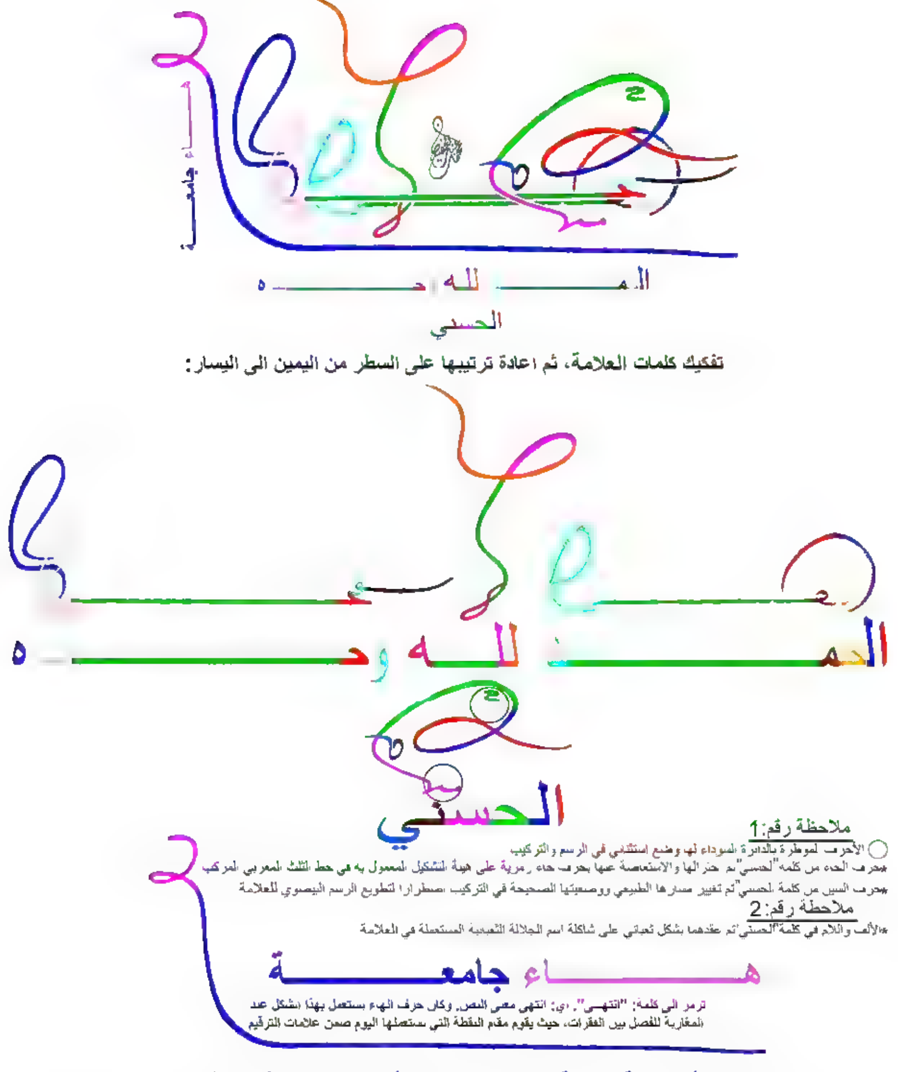
مصدر الوثيقة: عن الأصل المحفوظ في الأرشيف العام.
سانت مانكش (سيمنكاس) - بلد الوليد، إسبانيا
شكل: 4



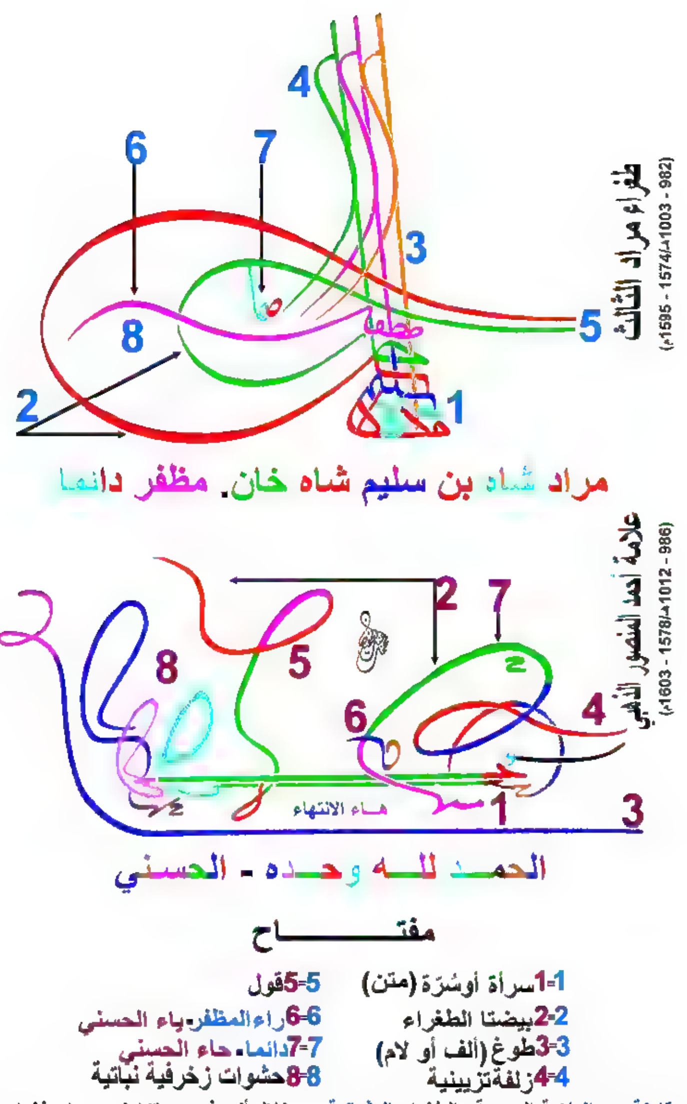
**علامة سعدية استخرجناها من رسالة بعثها أحمد المنصور الذهبي**
**إلى ملكة بريطانيا بتاريخ: 19 شعبان 998هـ/23 يونيو1590م**




**رسالة مؤرخة في: 19 شعبان من سنة: 998هـ/23 يونيو 1590م، بعثها السلطان السعدي**
**أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م) إلى ملكة بريطانيا إليزابيث الأولى**
**مصدر الوثيقة: أرشيف التاج البريطاني - مجموعة هوبكنز، رقم: 5. ص: 4.**
**شكل: 5**




**تفكيك عناصر طغراء أو"علامة الحمدلة" للسلطان السعدي: أحمد المنصور الذهبي، ثم إعادة ترتيب كلماتها على السطر، ولتوضيح أحرفها، ميّزنا بعضها عن بعض بألوان مختلفة، حيث إن كل لون في العبارة الطغرائية المخطوطة، يقابله اللون المماثل له في نصها المفرّغ بالخط الإداري**
**شكل: 6**




تشريح ومقارنة بين العلامة السعدية والطغراء العثمانية من خلال أنموذجين متزامنين هما: طغراء السلطان العثماني: مراد الثالث (982 - 1003هـ/1574 - 1595م)، وعلامة السلطان السعدي: أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م)

شكل: 7

## علامـــة اسـم السلطـــان

علامة ابي العباس أحمد الاعرج بن المهدي (923 - 947هـ/1517 - 1540م)

علامة ابي عبد الله محمد المتوكل المسلوخ (982 – 984هـ/1574هـ - 1576م)

علامة محمد المتوكل، هي اخر طغراء سعدية ـ رسمية استخدم في رسمها اسم السلطان

## علامـة الحمدلة (الحمد لله وحده)

علامة ابي العباس احمد المنصور الذهبي (986 – 1012هـ/1578 - 1603م)

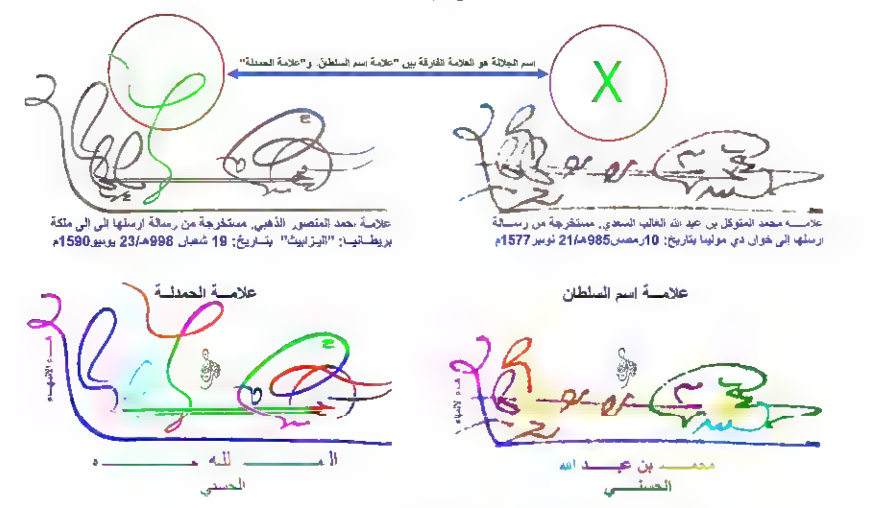
علامة ابي المعالي زيدان الناصر بن احمد (1012 - 1037هـ/1603 - 1628م)

علامة زيدان السعدي،أنموذج الصورة المعيارية للطغراء السعدية

معركة وادي المخازن سنة: 986هـ/1578م هي الحد الفاصل بين طغراء اسم السلطان وطغراء الحمدلة خلال الدولة السعدية

**شكل يمثل المقارنة بين: "علامة اسم السلطان" التي كانت مستعملة عند السعديين قبل معركة وادي المخازن. و"علامة الحمدلة" التي حلت محلها اعتبارا من عهد أحمد المنصور الذهبي**

**شكل: 8**



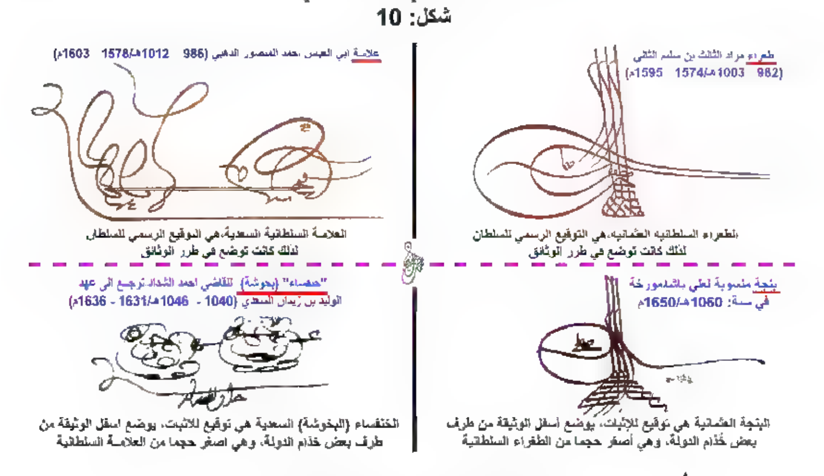

**مقارنة دلالية بين "علامة اسم السلطان" لمحمد المتوكل الذي يعتبر آخر من استعملها من السلاطين السعديين، و"علامة الحمدلة" لأحمد المنصور الذهبي الذي يعتبر أول سلطان سعدي استعملها وَورثها أبناؤه من بعده**

**شكل: 9**




**مقارنة بين علامة أحمد المنصور الذهبي، وتوقيع الخطاط البارع: "محمد بن محمد بن محمد بن عنون" المنتسب إلى الأسرة نفسها التي ينتسب إليها "عبد الواحد بن مسعود بن محمد عنون" الذي كان مسؤولا على خط "الزمام" أو "الشيفرة" في الديوان المنصوري خلال عصر الدولة السعدية، وهو نوع من الخط المُعمّى، اخترعه أحمد المنصور الذهبي لاستعماله في مكاتباته السرية**

**شكل: 10**

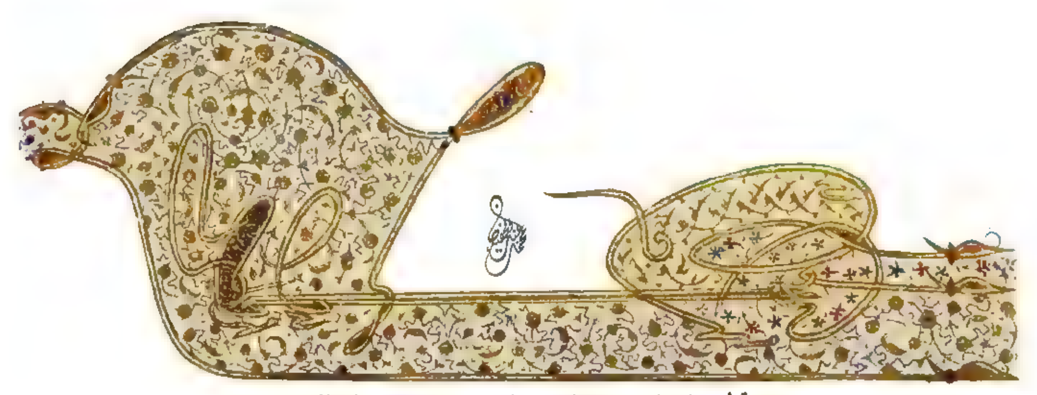



**ألتوقيع الخنفسي (البخوشة)، ومقارنته بالعلامة السعدية من جهة، وبالطغراء و(البنجـة) العثمانيتين من جهة أخرى**

**شكل: 11**

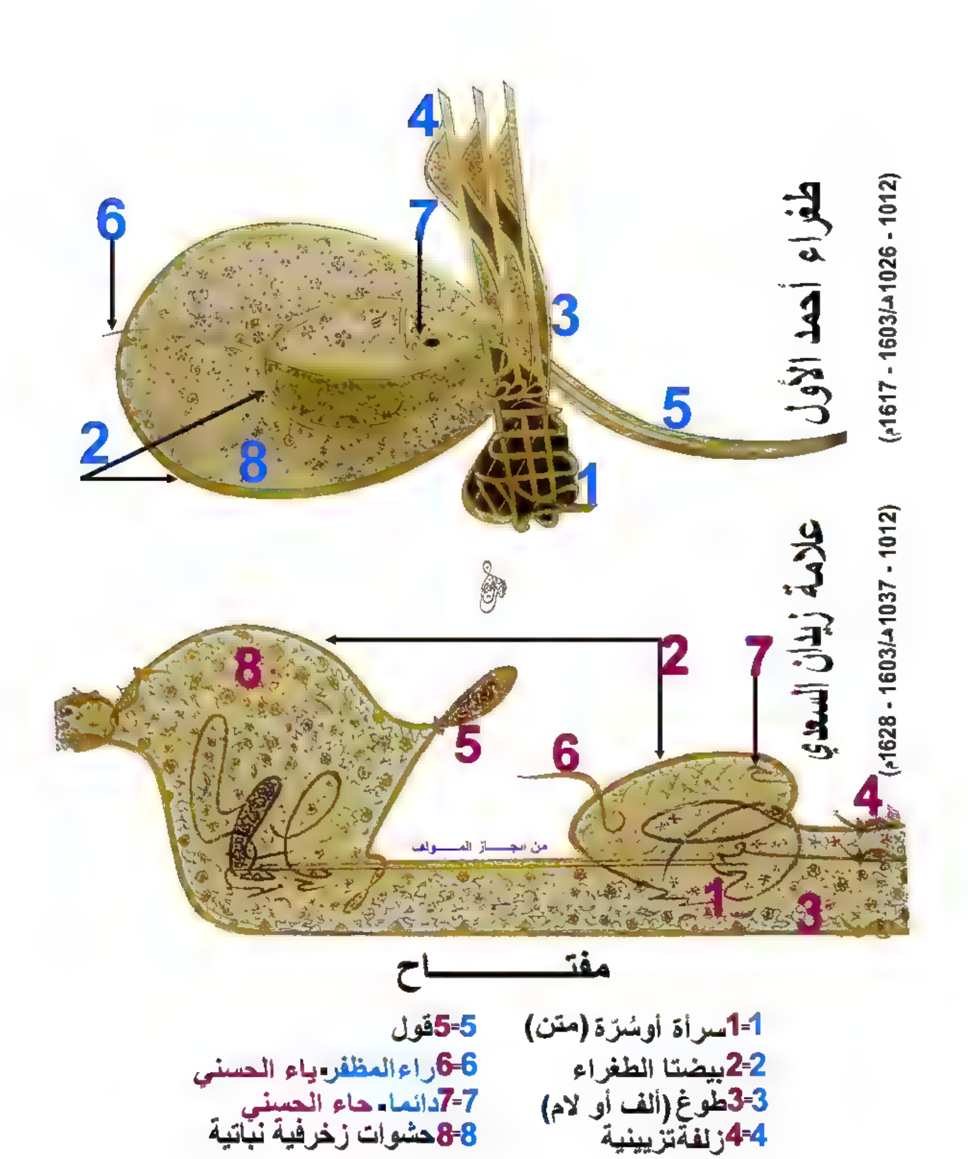


علامة مغربية سعدية. استخرجناها من رسالة بعثها أبو المعالي زيدان الناصر السعدي (1012 - 1037هـ/1603 - 1628م)
إلى فيليب الثالث بتاريخ: 1ربيع الثاني1017هـ/15 يوليوز1608م
مصدر الرسالة: محفوظة في الأرشيف العام، سانت مانكش (سيمنكاس) - إسبانيا، رقم: F210



علامة أبي المعالي زيدان الناصر السعدي (من إنجاز المؤلف)

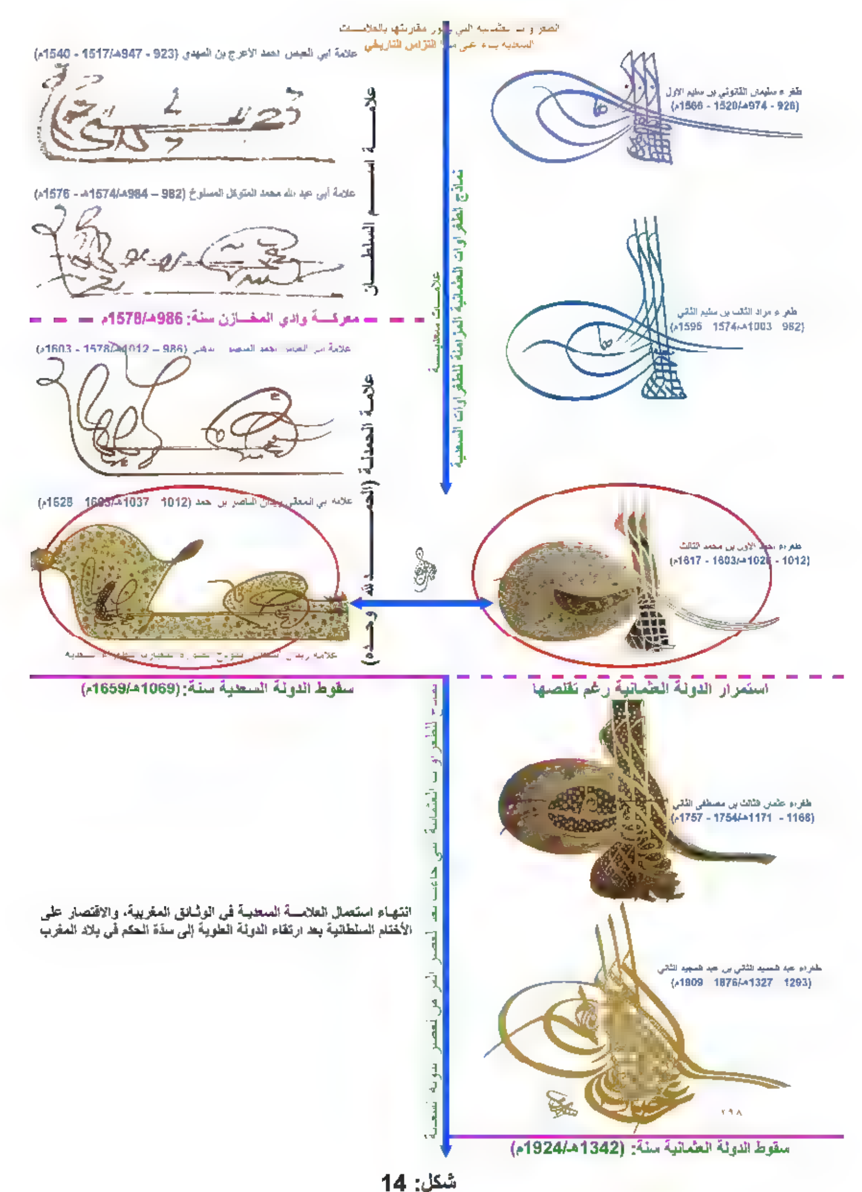
الطغراء المغربية من خلال أبرز شكل معياري والمتمثل في علامة أبي المعالي زيدان الناصر السعدي التي استخرجناها من وثيقة سعدية ثم قمنا بإعادة إنجازها من باب حفظ الأثر والنهل من التراث لتعريف الخطاطين المغاربة بتراثهم الخطي الدفين
شكل: 12




مقارنة بين الطغراءين: السعدية والعثمانية من خلال أنموذجين متزامنين

ملاحظة: الطغراء السعدية قام المؤلف بإعادة إنجازها

شكل: 13

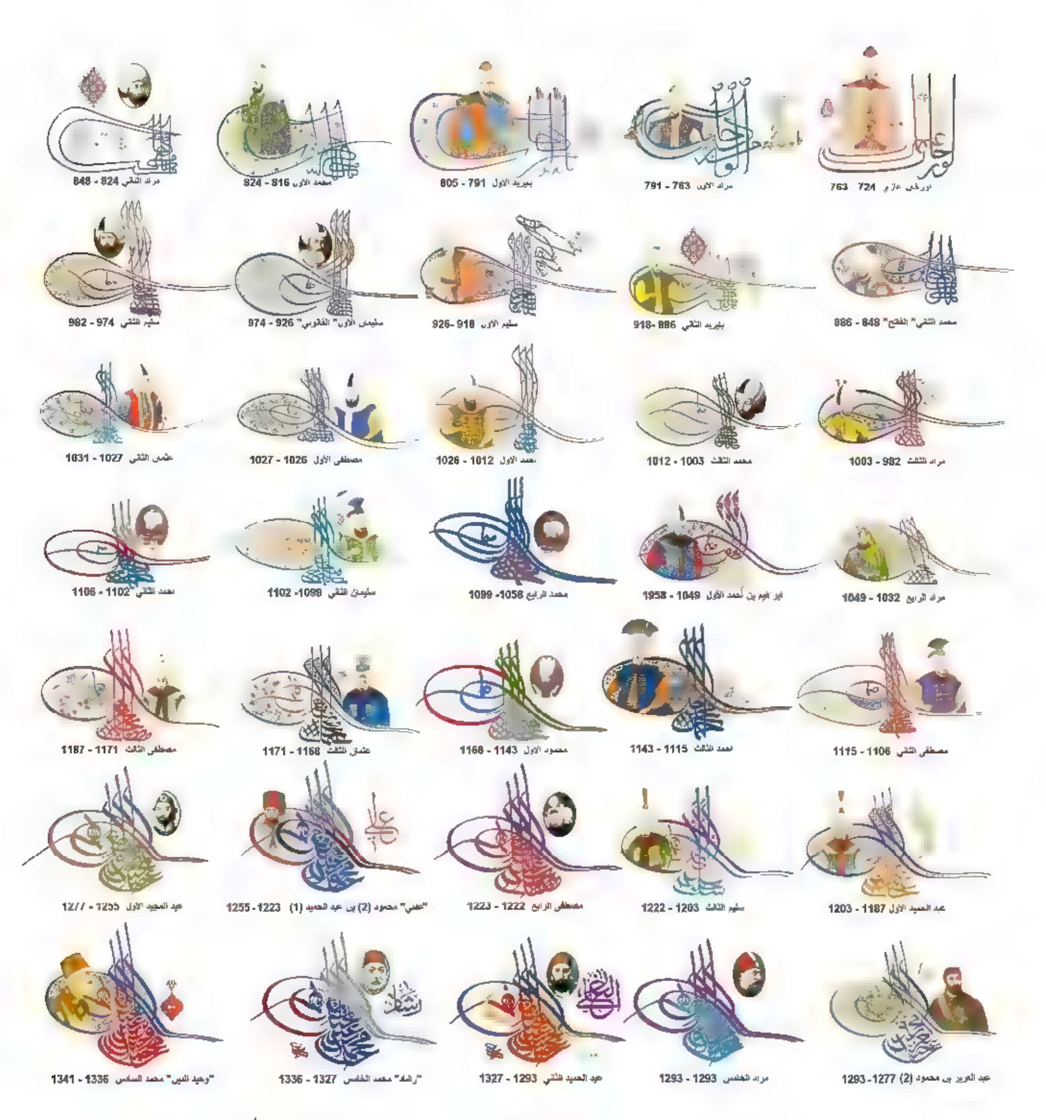


علامة أبي العباس أحمد الأعرج بن المهدي (923 - 947هـ/1517 - 1540م)
طغراء سليمان القانوني بن سليم الأول (926 - 974هـ/1520 - 1566م)
علامة أبي عبد الله محمد المتوكل المسلوخ (982 – 984هـ/1574 - 1576م)
علامة اسم السلطان
نماذج الطغراوات العثمانية المزامنة للطغراوات السعدية
علامات مغربية
معركة وادي المخازن سنة: 986هـ/1578م
علامة الحمدلة (الحمد لله وحده)
سقوط الدولة السعدية سنة: (1069هـ/1659م)
استمرار الدولة العثمانية رغم تقلصها
طغراء عثمان الثالث بن مصطفى الثاني (1168 - 1171هـ/1754 - 1757م)
انتهاء استعمال العلامة السعدية في الوثائق المغربية، والاقتصار على الأختام السلطانية بعد ارتقاء الدولة العلوية إلى سدّة الحكم في بلاد المغرب
سقوط الدولة العثمانية سنة: (1342هـ/1924م)


شكل: 14




**لوحة معبرة جمعنا فيها صورا مختلفة للطغراوات والعلامات المغربية، استخرجناها من مختلف الوثائق السعدية.**
**حيث يبدو الاختلاف الطفيف بين صورها الذي تحكمت فيه طبيعة العبارات الموظفة في رسمها.**
**شكل: 15**




**لوحة معبرة جمعنا فيها طغراوات عثمانية، مرفقة بصور افتراضية للسلاطين الذين كُتبت لهم، حيث تظهر أسماؤهم بألوان مغايرة، وذلك حتى يسهل تمييزها عن اللون الذي رُسم به جسم الطغراء**

**شكل: 16**




**تشريح ومقارنة بين الطغراء الزورقية لعبد الله الغالب السعدي والأشكال الزورقية في الخط الديواني الجلي المشرقي**

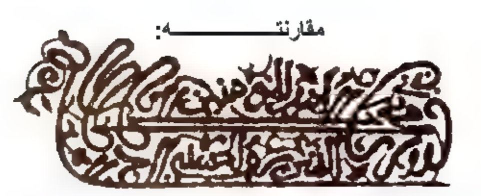
**ملاحظة: يجب استحضار الهامش الزمني الذي يجعل النماذج المشرقية متأخرة بـ: 4 قرون عن الأنموذج المغربي - السعدي، وقد كان الشكل الزورقي عند الأتراك يُخصص لعبارة: "اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، يامفتح الابواب، افتح لنا خير الباب [هكذا. والاصح: افتح لنا خير باب]"**

**شكل: 17**




**تشريح ومقارنة بين الطغراء الزورقية لعبد الله الغالب السعدي والأشكال الزورقية في الخط الديواني الجلي المشرقي**
**شكل: 18**

مقارنتـــــــــــــه:



توقيع عبد الله الغالب السعدي استخرجناه من خاتمه السلطاني



الخطاط العثماني محمد شفيق



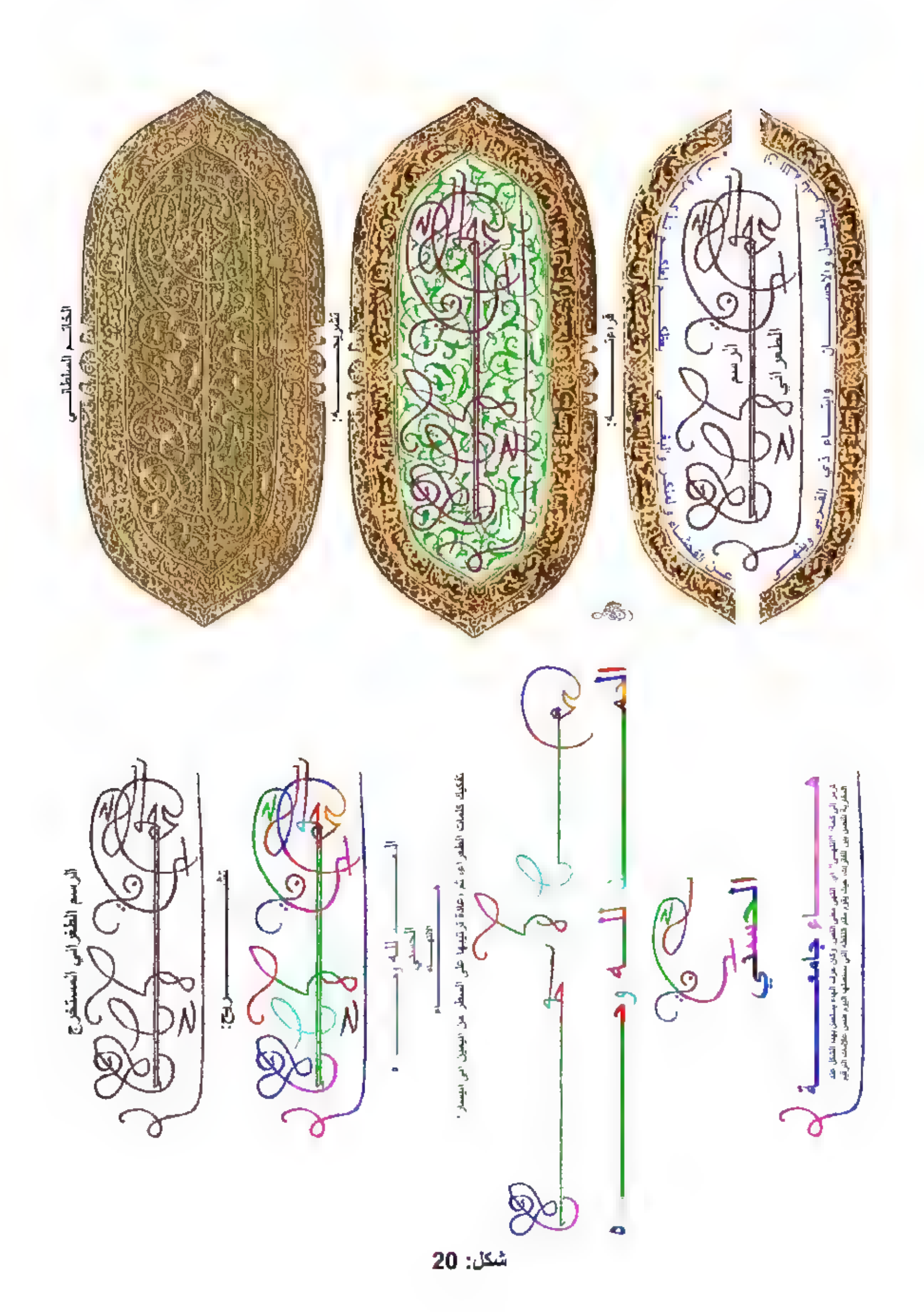
الخطاط البغدادي الملاّ علي الملقب بصابر، استاذ هاشم الخطاط



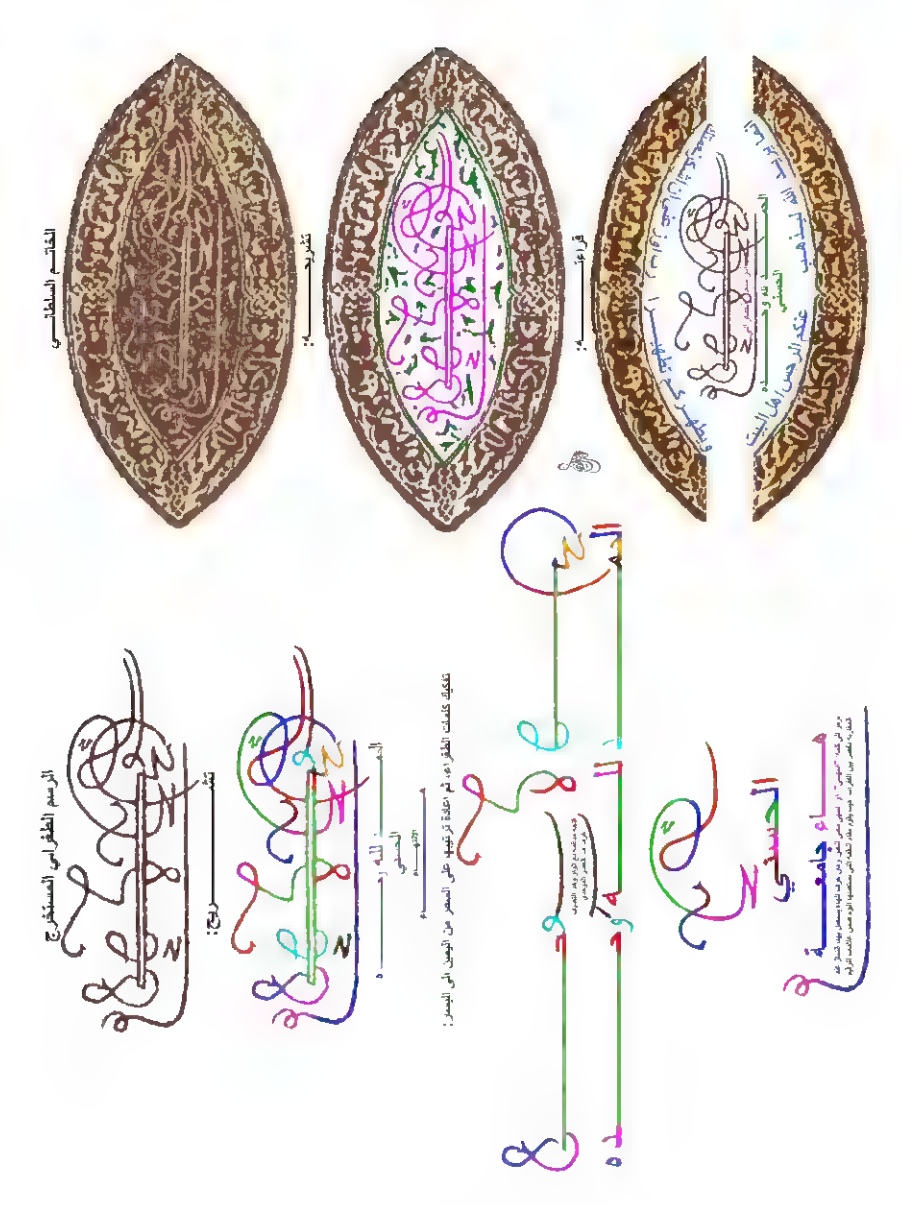
الخطاط البغدادي محمد هاشم

ملاحظة: يجب استحضار الهامش الزمني الذي يجعل النماذج المشرقية متاخرة بـ: 4 قرون عن الانموذج المغربي - السعدي، وقد كان الشكل الزورقي عند الأتراك يخصص لعبارة: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، يامفتح الابواب، افتح لنا خير الباب [هكذا. والاصح: افتح لنا خير باب]"

شكل: 19



**شكل: 20**



الخاتم السلطاني
تشريح:
قراءة:
الرسم الطغرائي المستخرج
تفكيك كلمات الطغراء ثم اعادة ترتيبها على السطر من اليمين الى اليسار:

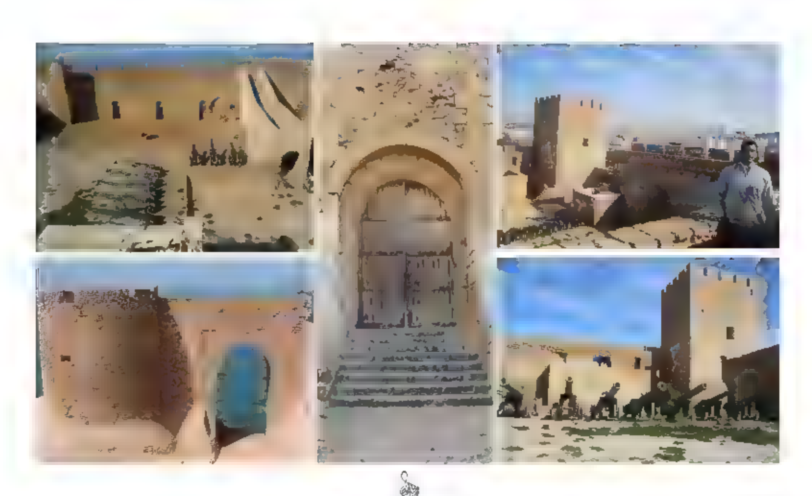

**شكل: 21**




**لوحة تمثل مجموعة من الأختام الطغرائية السعدية التي كانت مستعملة في المكاتبات الرسمية، مرفقة بتشريحها الفني**
**شكل: 22**




**تشريح العلامة السعدية المستخرجة من بعض القطع النقدية التي ترجع إلى عهد أبي المعالي زيدان السعدي**
**شكل: 23**



تفصيـــــــــــل:



مدافع سعدية وقفنا عليها، بـ: "قصر البحر" بمدينة: "آسفي"، يرجع بعضها إلى عهد أبي المعالي زيدان السعدي (1012 - 1037هـ/1603 - 1628م). والبعض الآخر إلى عهد ابنه الوليد بن زيدان (1040 - 1046هـ/ 1631 - 1636م).
شكل: 24



تفصيـــــــــــل:

مقطع للشعار الطغرائي عند السعديين

تفصيـــــــــــل:

مقطع للشعار الطغرائي عند العثمانيين

مدافع عثمانية مزينة بطغراوات حديثة غير مزامنة للطغراء السعدية
شكل: 25




**تشريح الشعار الطغرائي للدولة السعدية. مستخرج من مدفع سعدي**
**محفوظ بـ: "قصر البحر" بمدينة: "اسفي"**
**شكل: 26**




تشريح الشعار الطغرائي للدولة السعدية. مستخرج من مدفعين سعديين
محفوظين بـ: "قصر البحر" بمدينة: "آسفي"
شكل: 27



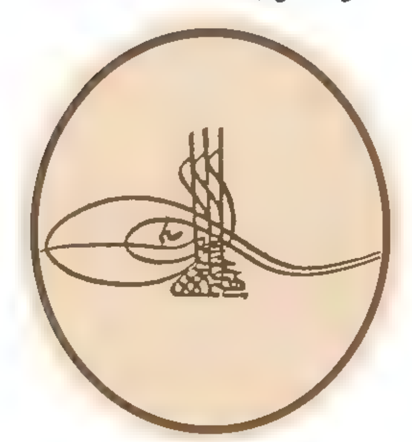
"بورتريه" أيقوني لصورة السلطان السعدي، التي
كتب تحتها اسمه: "محمد ولد مولاي زيدان"



"شعار" السلطان السعدي"محمد الشيخ الأصغر"
على شكل درع، يتوسطه: "رمـز السيادة" المغربية

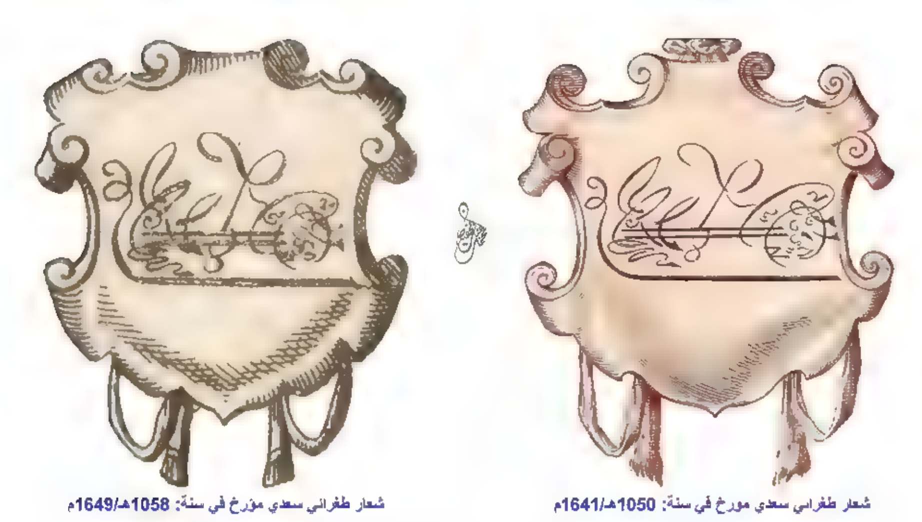


"بورتريه" أيقوني لصورة السلطان العثماني
إبراهيم الأول الملقب بـ: "المجنون"



"شعار" السلطان العثماني "إبراهيم الأول" على
شكل درع، يتوسطه: "رمز السيادة" العثمانية

**بورتريه السلطان السعدي محمد الشيخ الأصغر وإلى جواره طغراؤه السعدية اللذان استخرجناهما
من صورة بانورامية أنجزها الرسام الهولندي: "أدريان ماثام" في سنة: 1050هـ/1641م
لمدينة مراكش وديوانها السلطاني، ومقارنتهما مقارنة تخضع لمنطق التزامن التاريخي بكل من
بورتريه السلطان العثماني إبراهيم الأول "المجنون" وطغرائه العثمانية
شكل: 28**



شعار طغراني سعدي مورخ في سنة: **1050هـ/1641م**

شعار طغراني سعدي مؤرخ في سنة: **1058هـ/1649م**

**شعاران طغرانيان سعديان، استخرجناهما من لوحتين مختلفتين لمراكش، أنجزهما الرسام الهولندي أدريان ماثام محاكيا بذلك طغراء السلطان السعدي محمد الشيخ الأصغر**



**شعاران طغرانيان سعديان، قام المؤلف بتصميمهما من خلال الاعتماد على لوحتي الرسام الهولندي أدريان ماثام، يفترض أن نماذجهما كانت منقوشة على أبواب قصر البديع بمراكش**

**شكل: 29**

# تقرير عن أشغال الندوة

**تغطية: "مجلة الوعي الإسلامي"، العدد: 648**

أدار الندوة: علاء عبدالفتاح
أعدها للنشر: عبدالسلام الشبراوي



# الخط العربي تاريخ مضيء ومستقبل واعد

في ندوتها الشهرية الثانية استضافت مجلة «الوعي الإسلامي» بالتعاون مع مركز الكويت للفنون الإسلامية بمسجد الدولة الكبير مجموعة من الباحثين والمشتغلين بفن الخط العربي من تركيا والعراق والمغرب والكويت وقد تناولت محاور الندوة تعريفا بالحضور وتخصصاتهم ثم مواطن جماليات الخط العربي ومميزاته وسبل المحافظة عليه ثم الخط من الناحية التاريخية مع كيفية تعريف العالم بالفن الإسلامي وأخيرا العمارة الإسلامية وكيف السبيل إلى استعادتها في الوقت الحالي؟ فإلى تفاصيل الندوة:

**علاء عبدالفتاح:** نرحب بالسادة الحضور جميعا حللتم ضيوف كراما على الكويت وفي مقر مجلة «الوعي الإسلامي» العريقة لمناقشة موضوع مهم يتعلق بهويتنا الإسلامية والعربية كل من خلال تخصصه.

ويشرفنا ويسعدنا أن يكون من بين الحضور رئيس مركز الكويت للفنون الإسلامية في المسجد الكبير بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الفنان فريد العلي الذي يؤكد دائما على أن الاهتمام بفن الخط العربي ضرورة، باعتباره إحدى ركائز الهوية العربية، في ظل هجمة طمس الهوية العربية والإسلامية ولنبدأ بتعريف القراء بالسادة الحضور وتخصصاتهم يتفضل بذلك مشكورا الفنان فريد العلي.

**فريد العلي:** مجلة «الوعي الإسلامي» لها تاريخ حافل ثري في إبراز الفنون الإسلامية والعربية وانتشار واسع في معظم أنحاء العالم وقد شرفنا بالحضور اليوم د. سليمان برق من (تركيا) حاصل على دكتوراه في مواطن الجمال بالخط الثلث والطغراء وهو تلميذ للخطاط مصطفى راقم ونشر العديد من الكتب في مجال الخط ترجمت إلى العديد من اللغات ولديه باع طويل في تنسيق وترتيب معارض الخط داخل تركيا وخارجها.

ود. هاشم شيت علي العبيدي من الموصل (العراق) وهو باحث مستقل

في الكتابة والخط العربي ويعمل طبيب أسنان اختصاصيا وهو من المهتمين بالخط العربي وجمالياته.

و د. صلاح الدين شيرزاد من ( لعراق)، حاصل على دكتوراه في تاريخ الفن الإسلامي جامعة إسطنبول بتركيا ١٩٩٦م، وبكالوريوس في الشريعة والآداب من كلية الآداب جامعة بغداد، وحاليا يقوم بتدريس تاريخ الفن الإسلامي والعمارة الإسلامية بالإضافة إلى تأسيس مجلة «حروف عربية» وأيضا مجلة «فنون إسلامية» وهو رئيس تحريرها، وشارك في جميع المعارض والمسابقات المحلية وحصل على جوائز فيها، كما شارك في مسابقات إرسيكا «IRCICA» للخط العربي وحصل على جوائز في جميع دوراتها الأولى، كما حصل على جوائز في المسابقات المحلية.

وكذلك د. محمد عبدالحميظ من (المغرب)، رئيس المركز المغربي للدراسات التاريخية لفنون المصاحف وتقاليد المراسلات السلطانية في «فاس» حاصل على دكتوره في التاريخ وباحث في قضايا التراث والوثائق المخطوطة والخط العربي.

### مواطن الجماليات

علاء عبدالفتاح: ننتقل إلى المحور الثاني، ونبدأ مع الدكتور سليمان برق ليحدثنا عن مواطن جماليات الخط العربي ومميزاته وسبل المحافظة عليه، فليتفضل.

د. سليمان برق (يقوم بترجمة حديثه من التركية إلى العربية د. صلاح الدين شيرزاد): كلنا نعرف أن انتشار الخط العربي سببه ارتباطه بالقرآن الكريم وكتابة المصاحف، فبعد ضبط لإملاء والكتابة بدأ الخطاطون بتحسين صورة الكتابة وقطعوا شوطا كبيرا في هذا المضمار، ومنذ البداية كان وجود هذه الكتابات في شكل تبليغ لكلام الله وأحاديث الرسول ﷺ، وبعد ذلك أدخلت عناصر جمالية على الخط العربي حتى ظهر في شكل عناصر جمالية تزين العمائر، كما أن أسلافهم في العصر العباسي وما بعده كانوا يهتمون كثير بهذه الكتابات التي كانت منتشرة في العمائر بوعي وبصورة جمالية، وظهر في كل عصر من استطاعوا أن يعطوا زخما جديدا ودفعا لهذا الخط إلى مرحلة متطورة عن المرحلة التي سبقتها، فسعوا إلى تزيين كلام الله سبحانه وأحاديث الرسول ﷺ، وذلك انطلاقا من قول رسولنا الكريم: «إن الله جميل يحب الجمال»، وهو ﷺ الذي أوصانا بالإحسان في كل شيء حتى وصل الأمر إلى تحسين شكل الدفن حفرا وتغطية وغير ذلك من أدق التفاصيل.




د. هاشم شيت علي

### الناحية التاريخية

**علاء عبدالفتاح: كيف نشأ الخط العربي وتطور حتى وصل إلى هذا التنوع والتعدد الموجود الآن؟**

د. هاشم شيت علي: هذا الجنب لم تركز عليه الدراسات العربية، وهو جذور الخط العربي قبل الإسلام، فالخط العربي كنت له جذور سابقة قبل الإسلام



وجاء الإسلام فتبناها، فقد بدأ استخدام الخط العربي بفنونه في الأنبار، ثم في الجندل ثم شاع بعد ذلك استخدامه في مكة، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يستخدمون أنماط الخط العربي في مختلف كتاباتهم ومخاطباتهم.

أما عن السؤال؛ الفن العربي تاريخيا وفنون العمارة الإسلامية فإن الحضارة الإسلامية استوفت الاحتياجات وأعطت الملامح فصارت عمارة للمسلمين لكن بعد حدوث الثورة الصناعية نخشى أن يؤثر ذلك على فنون البناء الإسلامي عن طريق التأسي بالغرب الذي أثرت فيه الثورة الصناعية؛ لذا ينبغي أن تمتع مبانينا بالاستقلالية، فالغرب كان الفاعل الكبير في تغير نظامنا المعماري.

**عبدالسلام الشبراوي: من المعلوم أن الخط العربي في بدايته كان خطا واحدا وبانتقاله من مكان إلى مكان كانت يضاف إليه بعض التحسين والتطوير حتى نشأت أنواع من الخطوط.. نريد إلقاء الضوء على العصر الذي ازدهر فيه الخط العربي والأشخاص الذين برزوا في هذا الجانب.**

د. هاشم: (مازحا) سألت سؤالا طويلا.. تعددت أنواع الخطوط وبرزت بشكل كبير ومؤثر في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري في بغداد، بدأت الخطوط اللينة (الثلث، النسخ، المحقق... إلخ) في الظهور، وكان من أبرز الخطاطين في هذا العصر الضحاك بن عجلان وإسحاق ابن حماد وكان هذان الخطاطان يخطان الخط «الجليل» وعلى أيديهما تنوعت الخطوط وتفرعت، ومن هؤلاء الخطاطين إبراهيم الشجري الذي طور خط «الجليل» إلى خط «الثلثين» ثم «الثلث»، ثم جاء بعدهم الوزير «ابن مقلة» ثم ابن البواب، فياقوت المستعصمي، وكان هؤلاء الثلاثة من أبرع من جود في الخط العربي.

**علاء عبدالفتاح: دكتور محمد عبدالحفيظ هل الخط فن فقط أم هو فن وعلم له قواعده وأصوله؟**

الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فالخط للأسف الشديد ظل إلى عهود قريبة مرتبطا بالفن، وهذا نوع من التقزيم والتحجيم، فهل الخط فن فقط أم علم؟ إنه سؤال عريض يحتاج إلى إجابة، وبحكم انتمائي إلى شعبة التاريخ فهذا الأمر من الإشكاليات التي واجهتني في بحثي، وأنا أرى أن الخط علم له قواعده وأصوله، ويتجلى ذلك من خلال ارتباط الخط بغيره من العلوم الأخرى، كارتباط الخط بالنحو، حيث كان يكتب النص من دون نقط، فكان الإصلاح الأول الذي أدخله أبو الأسود الدؤلي لضبط الآيات القرآنية وصيانة كلام الله من التحريف، هو الحركات الإعرابية، ثم أدخل تلاميذه من بعده نقط الحروف زيادة في حفظ القرآن الكريم.

لذلك ينبغي دراسة الخط العربي بمقاربة علمية جديدة على أنه علم وليس فنا فقط، صحيح هو فن في الجانب الجمالي، ولكن في الجانب الوظيفي هو علم، له ارتباط بعلم التحقيق و«الأبدجرافيا» التي ظلت مرتبطة بالحرف اللاتيني.

ومن أهم العلوم التي ارتبط بها الخط «السلوجرافيا»، وهو من أخطر العلوم، ويعتني هذا العلم بأختام السلاطين، فأمر السلطان لا يكون نافذا إلا بتوقيع السلطان عليه أو ختمه أو علامته، وقد عرفت هذه العلامات باسم «الطغراء»، الذي يعبر عن سيادة الدولة ونفوذ السلطان، فالطغراء كان عبارة عن بديل التصوير في الإسلام.

### علاء عبدالفتاح: دكتور سليمان هل لديكم تعقيب؟

نعم، في العهد العثماني كان الطغراء عبارة عن علامة مرسومة للحاكم، ولكن لم يصل إلينا أي وثيقة سلجوقية أو عثمانية ورد فيها الطغراء إلا للسلطان أورخان، ومن بعدها أصبح الطغراء أجمل يوما بعد يوم، وأجملها ما رسمه الخطاط الكبير سامي أفندي، وقبل سامي أفندي كان الخطاط مصطفى، فهو أول من رسم الطغراء بشكل جميل، حتى أصبح الطغراء ناضجا، خصوصا طغراء السلطان عبدالحميد الثاني، ولا يمكن إنكار أن هناك تراكما في الفن الإسلامي يمتد إلى ١٥٠٠ عام، فالفن الجميل الذي وصلت إليه الفنون الإسلامية يعتمد حتما على ما قبله.

د. هاشم: لقد فصل السادة الحضور في الطغراء، وهو من المواضيع القديمة، ولم يتطرق أحد إلى الفرق ما بين الطغراء والختم، فالرسول الكريم كان له خاتم يلبسه ويختم به الكتب وكذا الخلفاء الراشدون من بعده ثم انتشر إلى مصر والمغرب.


د. صلاح الدين شيرزاد

## الخط والتقنية

**عبدالسلام الشبراوي: في عصرنا الحالي عصر الثورة والتقنية أصبح هناك بديلا للخط من خلال استعمال الكتابة الإلكترونية ونخشى تأثير ذلك على تعامل الأجيال القادمة مع الخط العربي، فكيف نستغل هذه التقنيات ونجعلها أداة بناء لتطوير الخط العربي؟**


د. محمد عبدالحفيظ

د. محمد عبدالحفيظ: هذه التقنيات سلاح ذو حدين، فهي من ناحية قدمت إضافة كبيرة عن طريق اختزال المراحل التي كان يقطعها الخطاط لكتابة النص، ففي السابق كان الخطاط يكتب الحرف بدرجة إجادة معينة ويكرر كتابته مرات كثيرة مما يستغرق وقته وجهده، أما الآن بعد دخول الحاسوب في حياتنا فإنه يمكنه نسخ الحرف واستخدامه كلما احتاج إليه. أيضا يساعد الحاسوب في تركيب اللوحات بشكل بديع ويغطي جانب الملاءمة بين الكتلة الخطية والفراغ، لأن التحدي المفروض على مستوى الخط هو كيفية الملاءمة بين الكتلة والفراغ، فالخطاط المسلم -في رأي البعض- كان يخشى من الفراغ، لذلك تجد أنه -سواء في العمائر أو اللوحات- يلجأ لشغل الفراغ بالرسم أو الزخرفة، وقد أسهمت البرامج الحاسوبية في إحداث هذه الملاءمة.

أما من الناحية السلبية فقد سهلت البرامج الحاسوبية تزوير اللوحات وسرقة جهود الآخرين بحيث يأتي الخطاط إلى بعض حروف كبار الخطاطين الرواد كسامي أفندي ومصطفى راقم أفندي ويركب منها لوحة مستعينا بالبرامج الحاسوبية، وقد اكتشف في معرض ارسيكا IRCICA الذي ينظم كل ثلاث سنوات تزوير بعض اللوحات بهذه الطريقة.

فلا بد من توعية الخطاط وتربية الجانب الإيماني في شخصيته حتى ينأى بنفسه عن سرقة جهود غيره.

د. سليمان: هذه التقنيات المستحدثة سهلت أمور الإنسان وبالتأكيد لها




فوائد في التخطيطات المعمارية ومن أهم فوائدها السرعة في رسم الخرائط والتراكيب، وما ذكره زميلنا من الجوانب السلبية لهذا الأمر موجود بالفعل، والخطاط قد يستفيد من الحاسوب في عمل التكوينات والرسم على الرخام وتسريع العمل لكن بشرط أن يلتزم بالجانب الأخلاقي ولا يسرق الحروف من خطاطين آخرين وينسبه لنفسه، ولكن يجب أن يكتب الخطوط بيده، ويأتي دور الحاسوب في اختصار الوقت وإضافة العنصر الجمالي للتراكيب.

تعقيب الدكتور هاشم: ما تحدث عنه الزملاء الأفاضل هو الجانب الفني في استخدامات الحاسوب، لكن الجانب العملي هو أنواع الخطوط الموجودة في الحاسوب، فبعد دراسة

## الخطوط الحاسوبية أشكال مشوهة للخطوط العربية

لهذه الخطوط لوحظ أنها أشكال مشوهة للخطوط العربية، فهي خطوط عوجاء وملولبة وليست من أصول الخطوط المضبوطة، إضافة إلى أشكال الحروف التي اخترعت ولا علاقة لها بأصول الخط العربي، وقد وضُعت خطة في «الموصل» تم العمل عليها لمدة ثلاث سنوات من قبل شباب متخصصين في الحاسوب، أنتجوا نسخة من الخطوط العربية خاصة بالحاسوب، لكن بسبب الأحداث السياسية التي مر بها العراق ضاعت تلك الجهود للأسف ولم تخرج إلى النور. أعتقد في لندن أيضا ظهرت محاولة لتخليص الخطوط الموجودة في الحاسوب من المشاكل، لكنها لم تنجح. وإذا بقينا نستعمل هذه الخطوط المشوهة، فإن الأجيال الجديدة ستنسى الخطوط الأصيلة وتضيع مع الزمن، لذلك أطالب المتخصصين في الخطوط وفي الحاسوب بوضع أنماط خطوط عربية صحيحة حتى لا تضيع هوية الخط العربي.

الدكتور صلاح: عند الإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نفرق بين الجانب الوظيفي للخط: كتابة وإملاء، وبين الجانب الفني للخط العربي: جمالا وفنًا وذوقا وإبداعا، فعلى الجانب

الوظيفي يؤدي الحاسوب دورا كبيرا ونافعا للخط العربي، خصوصا في الأمور التوثيقية العادية وتيسير الحياة اليومية للناس، وهذا الدور لا يخيفنا، بل ينبغي أن نوظفه بطريقة علمية وصحيحة. أما من ناحية استخدام الحاسوب في الجانب الفني والجمالي، فهو بالفعل سلاح ذو حدين يتوقف على أمانة مستخدم هذه التقنية كما ذكر الزملاء الأفاضل.

## التبادل الثقافي

**علاء عبدالفتاح: إذا تحدثنا عن الترجمة ودورها والحاجة إلى التبادل الثقافي بيننا وبين الآخر.. نريد إلقاء الضوء على أهمية ترجمة المؤلفات الخاصة بالخط العربي والفنون الإسلامية والجهود المبذولة في هذا الصدد ومدى كفايتها. وهل لكم جهد في مجال تعريف العالم بالفن الإسلامي؟**

د. صلاح الدين شيرزاد: نعم، بالفعل نلقي عدة محاضرات للتوعية وسأحاضر خلال الأيام المقبلة حول ما يخص هذا الجانب؛ وهو إظهار العمارة الإسلامية وكذلك الخط وكل ما يمثل التراث الإسلامي.

د. محمد عبدالحفيظ: أعددنا دراسة علم الخط في المدارس على غرار المدارس التراثية المرينية، وهي تجربة جديدة، وهذه السنة سوف تتخرج الدفعة الأولى للطلبة، وشهادتها تعادل درجة الدراسات العليا، حيث لا يسمح بالدراسة فيها إلا بعد الحصول على درجة الليسانس أو البكالوريوس، وبها عدة تخصصات كالزخرفة والخط يختار الطالب ما يرغب وأنا آدرس مادة تاريخ الخط في هذه المعاهد وأساليب كتابة المصحف الشريف.

كذلك أيضا تم تأسيس المركز المغربي للدراسات التاريخية في فنون المصاحف وتقاليد المراسلات السلطانية في فاس، وتلك فكرتي مع بعض أساتذة جامعيين، وأيضا تتم دراسة الوثائق السلطانية التي كان متسترا عليها ونخضعها للتنقيح والبحث.

- د. سليمان برق: لتطوير تعليم الفنون الإسلامية، خصوصا فنون العمارة الإسلامية، قمنا بالتالي:

- في عام ١٩٨٢م بعد تبديل قانون التعليم العالي والعام تم دمج هذه الفنون في التعليم، خاصة فنون العمارة الإسلامية.

- بعد عام ٢٠٠٠م أصبح هناك مجال للبحث في الدراسات العليا في الفنون الإسلامية ولاقت اهتمام عدد كبير من الباحثين.

- بعد عام ٢٠٠٢م تمت صيانة وترميم ما يقرب من ٥٠٠٠ أثر إسلامي، وذلك تحت رعاية رئيس الجمهورية آنذاك، كما يتم عقد المؤتمرات والندوات وطباعة وتوزيع الكتب مجانا.

- في عام ٢٠١٠م نُظِّم معرض كبير في متحف الآثار الإسلامية تحت رعاية رئاسة الدولة، ولقد كان لهذا المعرض دور كبير في ترقيم عدد كبير من الآثار ووضع عدد كبير منها في المعرض، وتمت طباعة كتاب ككتالوج لهذه الآثار.

د. هاشم شيت علي: قديما في العراق قامت الكتاتيب في مرحلة الضعف بنشر هذه التعاليم، والآن تم استحداثها بنظام مراكز ودور القرآن في كل مدينة. وأنا أقترح تأسيس مراكز لتعليم الفنون الإسلامية في كل حي أو مدينة على غرار مراكز تعليم القرآن الكريم.

وفي كل صيف هناك دورات مجانية لتعليم الطلاب الخط لمن يرغب في تعلمه يعقدها الخطاطون شمال العراق بالموصل، وأقترح تعميم هذا الأمر في كل بلادنا العربية على المستوى الشعبي.

## ختام الندوة

علاء عبدالفتاح: ختاما نشكركم جزيل الشكر ونترك الكلمة للفنان فريد العلي.

الفنان فريد العلي: ختاما أتقدم بالشكر لكم جميعا وخاصة مجلة «الوعي الإسلامي» على هذه الاستضافة وأؤكد على أن ما قيل في هذه الندوة سيثرى معلومات القراء، فهذه الندوة قيمة مضافة لقراء «الوعي الإسلامي»، ونحن نحتاج مثل هذه الندوات التي تضيف للمتلقي معلومات جديدة، وقد لمسنا في تلك الندوة مواطن الألم التي يعاني منها الفن الإسلامي لتكون انطلاقة للتعاون بين الدول والمؤسسات في هذا المجال حتى نحافظ على تراثنا الإسلامي الراقي من الاندثار.